الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
-البويرة-
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -
Faculté des Sciences Sociales et Humaines

- قسم التاريخ

- التخصص: تاريخ الجزائر الحديث(1519-1830)

عنوان المذكرة:

مسائل الحكم العثماني بالجزائر في كتابات أبي القاسم سعد الله دراسة للمسألة الثقافية

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر تاريخ الجزائر الحديث(1519-1830)

إعداد الطالب:إدير السعدي **إشراف: أ.د. سعيد جلاوي**

أعضاء اللجنة المناقشة

اسم و لقب الأستاذ	الصفة	الجامعة
د. عبد الرزاق عطلاوي	ممتحنا	جامعة آكلي محند أولحاج-البويرة
د. عبد الله قبلي	رئيسا	جامعة آكلي محند أولحاج-البويرة
أ.د.سعيد جلاوي	مشرفا	جامعة آكلي محند أولحاج-البويرة

السنة الجامعية : 1445-1446هـ الموافق لـ2023/2024 م

شكر و تقدير

يسرني كثيرا عند نهاية هذا البحث أن أوجه شكري و تقديري الخالصين لأستاذي الدكتور السعيد جلاوي الذي شجعني و حفزني على اختيار ومعالجة هذا الموضوع ، و إشرافه على هذا البحث و مرافقته لي بالتوجيهات السديدة و ملاحظاته القيمة و آرائه المفيدة ، و تصويباته المستمرة لعملي، و قد زادني ذلك إرادة و رغبة للمضي في هذا البحث، فأجدد له من هذا المنبر بالغ تقديري و شكري له.

و لا يسعني أيضا إلا أن أعبر عن بالغ امتناني و عرفاني لكل الأساتذة كل باسمه، فقد جاء هذا العمل تتويجا لعصارة المعارف التي أفادونا بها من خلال المقاييس المقررة للسنتين الأولى و الثانية ماستر، و من خلال هذا البحث أحيي فيهم روح العطاء و الالتزام.

الإهـــــــداء

إلى والداي الكريمين

إلى أرواح شهداء الجزائر رمز عزتنا و كرامتنا

إلى كل المخلصين الذين لا زالوا يعملون في صمت لخدمة الأمة

إلى زوجتي زهرة و أبنائي فاطمة الزهراء ، و نور الإسلام ، و عمران ، و وائيل

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل

قائمة المختصرات:

1- باللغة العربية:

الاختصار	المعنى
تح	تحقيق
تع	تعريب
تر	ترجمة
تق	تقديم
د.ب	دون بلد
د.د.ت	دون تاريخ
ط	طبعة
مج	مجلد
ج	الجزء
د.د.ن	دون دار النشر

2- باللغة الفرنسية:

الاختصار	المعنى
P	Page

المقدمة:

يعتبر تاريخ الجزائر الحديث من بين أهم الفترات التي شدت اهتمام المؤرخ الجزائري أبو القاسم سعد الله و حملته على عنايتها بالدراسة و التحقيق لما انطوت عليه من أحداث و تطورات هامة، تعتبر في نظره فترة حساسة و حاسمة ، و بقدر ما كانت نتاج الحقبة الوسيطية شكلت أيضا حلقة وصل مع الحقبة التي تلتها و هي الحقبة المعاصرة التي تميزت بتعرض الجزائر للاستعمار الفرنسي و ما يشكله من تهديد للوجود الجزائري، وهذا ما يبن طبيعة الفترة العثمانية و أهميتها التاريخية والحضارية والخصوصيات و المقومات الأساسية التي اكتسبتها الشخصية الجزائرية، و بسبب التضارب القائم بين المؤرخين بخصوص إيجابية و سلبية هذه الحقبة و قيام أطروحات تمس بهوية الجزائر انبرى أبو القاسم سعد الله و خاض في المسائل المرتبطة بالحكم العثماني في الجزائر منقبا عن الحقيقة التاريخية .

1- التعريف بالموضوع:

يرى أبو القاسم سعد الله أن المدرسة التاريخية الجزائرية لم تتشكل بعد و أن ما تمت كتابته إلى حد الآن من قبل الجزائريين لا يعدو أن يكون سوى مجرد ردود أفعال تجاه كتابات المدرسة التاريخية الاستعمارية الفرنسية ، و رغم ذلك يجمع المتخصصون في التاريخ على اعتباره أحد رواد المؤرخين الجزائريين الذين نفضوا الغبار عن مصادر التاريخ الجزائري و بعث الروح في تراث الجزائر الحديث، فتناول مختلف قضايا هذه الفترة السياسية منها و الاقتصادية و الاجتماعية ، و بالأخص الثقافية منها، و لهذا فموضوع الدراسة هو مسائل الحكم العثماني بالجزائر في كتابات أبي القاسم سعد الله ، دراسة للمسألة الثقافية. و بالتالي تتبع آرائه بخصوص فترة الحكم العثماني في الجزائر و تأثيراتها على المجالات المختلفة ، و الوقوف من خلال تحليلاته ذاتها ، فضلا عن آراء الآخرين خاصة المعاصرين منهم على مدى التأثير الإيجابي أو السلبي للسلطة الحاكمة على فاعلية المجتمع الجزائري. فقد تطرق في دراساته المختلفة إلى كل الجوانب التي تخص المجتمع و الدولة في الجزائر في الفترة الحديثة ، محاولا

من خلالها إثبات معالم الهوية الجزائرية دون نكران الفجوات و الاختلالات التي انطوت عليه هذه الحقبة .

2-أسباب اختيار الموضوع:

إن التضارب القائم بين المؤرخين بخصوص تاريخ الجزائر الحديث ، بين الذين ينكرون الجوانب الإيجابية للحكم العثماني في الجزائر و لا يرون سوى العيوب و النقائص ، معتبرين إياها مرحلة انكسار و انتكاسة ، تدفعهم في ذلك اعتبارات و أهداف شتى، و بين الذين ينظرون إليها نظرة الإجلال و التقديس رافضين الإقرار بسلبيات المرحلة و إخفاقات السلطة الحاكمة مدفوعين هم الآخرون تحت تأثير منطلقاتهم و قناعاتهم الذاتية، و قد ترتب عنه جدلا حول حقيقة الوضع و مس بشكل مباشر و غير مباشر إحدى العناصر الأساسية للهوية الجزائرية و تتمثل في وجود الكيان الجزائري من عدمه ، و توخيا للحقيقة التاريخية المجردة و التزاما و أسس البحث العلمي ارتأيت تناول الموضوع السالف الذكر لكون أبو القاسم سعد الله أحد أكثر المؤرخين كتابة في هذا المجال، ولكونه أيضا من بين الذين وقع عليهم الاختلاف عما إذا كان مؤيدا أم منددا للحكم العثماني في الجزائر، و نظرا لما عرف به هو الآخر من وسطية و موضوعية فقد تحامل الجميع ضده سواء من المنددين آو المبجلين لإقراره بالحقيقة كما هي إيجابا و سلبا دفعني ذلك إلى الاعتقاد أنه الأنسب والأقرب للإجابة عن المشكلة السالفة الذكر.

3- أهمية الموضوع:

إن من بين قضايا تاريخ الجزائر الحديث الأكثر أهمية و التي لا تزال مطروحة في الساحة الوطنية تلك التي تتعلق بالهوية الوطنية الجزائرية، فالإجابة عن الأسئلة المطروحة بخصوص الهوية و الشخصية الوطنية مرهون بمدى التقييم الموضوعي لبنية المجتمع الجزائري في العصر الحديث و عناصر التفاعل القائمة فيه ، و بالتالي فالدافع الأكبر لاختياري هذا الموضوع هو الرغبة في الوصول إلى إجابة موضوعية حول مدى التأثير الإيجابي أو السلبي للحكم العثماني في الجزائر من خلال كتابات وآراء أبو القاسم سعد الله ، كونه من بين أكثر المؤرخين الجزائريين الذين اشتغلوا على مسألة الهوية الجزائرية .

و بالنظر إلى الأسس المنهجية الصارمة التي ارتكزت عليه دراساته من جهة و طبيعة رؤاه المستوعبة للبنية التاريخية والحضارية للمجتمع الجزائري، فإن تحليلاته هي

الأكثر انسجاما مع المنحى الموضوعي للتاريخ الجزائري الحديث، و هنا تكمن أهمية الموضوع محل الدراسة، و التي تتمثل في الوقوف على معالم الشخصية الجزائرية بكل ما انطوت عليه من عناصر القوة و الضعف ، بحيث يمكن أن تشكل آرائه و مواقفه تلك مرجعا يستوعب كل المكونات الفعلية للمجتمع الجزائري و اتجاهاته ، والتي تتحدد بموجبها ضوابط و أبعاد أي مسعى لمشروع المجتمع الجزائري، الذي لا يزال في طور التنظير، رغم الأحداث التي عرفتها الجزائر قبل الاستقلال و بعده.

4-<u>الإشكالية</u>:

إن طبيعة الموضوع هو الذي يحدد الإشكالية البحثية القائمة ، و تتمثل أصلا في التساؤلات الجوهرية التي يطرحها أبو القاسم سعد الله نفسه في كتاباته حول مسائل الحكم العثماني في الجزائر ، و تتعلق في الغالب حول الأسباب الموضوعية للوجود العثماني في الجزائر و مدى تأثيره و خدمته للمجتمع و الدولة معا.

و بالتالي فالإشكالية المطروحة هي :

- إلى أي مدى يمكن اعتبار تقييم أبو القاسم سعد الله للحكم العثماني في الجزائر تقييما موضوعيا؟

و من خلالها يمكن طرح الأسئلة الفرعية الآتية، و هي:

- ما هي العوامل المؤثرة في آراء و منطلقات أبو القاسم سعد الله في كتاباته إزاء الجزائر في العهد العثماني ؟

- إلى أي حد يمكن الإقرار بالحياة الثقافية في الجزائر إبان العهد العثماني من عدمها؟

5-<u>منهج البحث</u>:

تماشيا و طبيعة إشكالية البحث و التي تعتمد على أطروحات أبو القاسم سعد الله ذاتها و كذلك بناء على الكتابات التي تناولت أبحاثه و آرائه ، و على قلتها فقد أخذت بمنهج التحليل التاريخي و الاستقراء و النقد ، كونه يتناسب و التدرج في استعراض و معالجة المسائل المدروسة من قبله .

6-الخطة:

على ضوء الاعتبارات السابقة و متطلبات البحث العلمي فقد عالجت الإشكالية وفق الخطوات البحثية المرجعية المعمول بها و التوجيهات المسداة من قبل الأستاذ المشرف على المذكرة، مستهلا إياها بالمقدمة ، ثم قسمت البحث إلى ثلاثة فصول ، تناولته كالآتي:

ففي الفصل الأول: التعريف بشخصية أبي القاسم سعد الله ، مقسما إياه إلى أربعة مباحث شمل الأول على المولد و النشأة ، و الثاني خص مساره الدراسي و العلمي، و الذي قسم بدوره إلى أربعة مطالب، و المبحث الثالث تناولت فيه إنتاجه العلمي و مساره الوظيفي في مطلبين، و المبحث الرابع تناولته أيضا من خلال مطلبين ، الأول حول منهجه في الكتابة التاريخية والثاني حول منطلقاته الفكرية .

و في الفصل الثاني عالجت مسائل الحكم العثماني في كتابات أبي القاسم سعدالله من خلال مبحثين، المبحث الأول حول المسائل السياسية ، و قسمته بدوره إلى مطلبين ، حول نظام الحكم و الثاني حول الجهاد البحري و الأسرى. و المبحث الثاني عالجت فيه من خلال مطلبين المسائل الاقتصادية و الاجتماعية.

و الفصل الثالث تناولت فيه بالتحليل المسائل الثقافية في ثلاثة مباحث ، المبحث الأول حول التعليم و المبحث الثاني حول التصوف و المبحث الثالث حول الأوقاف .

و تم إنهاء كل فصل بخاتمة ، ثم حوصلتها في خاتمة نهائية بعد إنهاء الدارسة و هي عبارة عن حوصلة إجمالية لما تم التوصل إليه من نتائج خلال البحث.

7-تعريف المصادر و المراجع:

و رغم كثرة الدراسات التي تناولت تاريخ الجزائر الحديث إلا أن الدراسات التي تخص البحث و التي تتناول بالدراسة و التحليل معالجة أبي القاسم سعد الله ذاتها لمسائل الحكم العثماني في الجزائر جد قليلة ماعدا بعض المقالات و الملتقيات، و لهذا تم الاعتماد على بعض المصادر التي تخص هذا الموضوع ، و تتمثل في المخطوطات التي حققها و علق عليها أبو القاسم سعد الله و غيره ، مثل مؤلفات عبد الكريم الفكون و أبي راس الناصري الجزائري و غيرهما، و تكمن أهميتها في طبيعة المعلومات التي انطوت عليها و التي تبين

الأوضاع الفعلية السائدة في الجزائر خلال الحكم العثماني في المجالات المختلفة مقارنة بكتابات المعاصرين الآخرين من الرحالة و القناصل و الأسرى الأوروبيين حول تاريخ الجزائر الحديث، و بالنسبة للمراجع اعتمدت أساسا على كتابات أبي القاسم سعد الله ذاتها و التي تشكل المادة الأساسية للبحث أيضا، بحيث تناول بالدراسة و التمحيص كل مسائل الحكم في الجزائر، خاصة المتعلقة بالجانب الثقافي، و بالتالي سمحت لي بتتبع و استقراء تحليلاته المختلفة واستنباط قراءاته لتاريخ الجزائر الحديث وخاصة تاريخ الجزائر الثقافي ج1وج2(طبعة1998)، وأبحاث وآراء في تاريخ الجزائرج1وج2 وج3 وج4 وج5(طبعة 2016)

و بالنسبة للمراجع الأخرى اعتمدت أساسا على الحوار الذي أجراه الإعلامي و الأستاذ الجامعي مراد وزناجي مع أبي القاسم سعد الله و الذي يكتسي أهمية بالغة أيضا لطبيعة المؤلف و المتمثل في كون الأجوبة التي رد بها الأخير كانت من خط يده وبأسلوبه الشخصي لم ينقص و لم يزد محاوره حسب تصريحه حرفا أو كلمة من عنده، و التي مسح فيها كل أطوار حياته و مواقفه و نظرته تجاه كل مسائل التاريخ الجزائري خاصة المتعلقة بفترة الحكم العثماني، و بالتالي اشتمل على الكثير من المعلومات التي تخدم إشكالية البحث . و اعتمدت أيضا على الدراسة التي أنجزها أحد تلامذة أبي القاسم سعد الله البارزين اليوم في المدرسة التاريخية الجزائرية و هو الأستاذ بوعزة بوضرساية في كتابه " رواد المدرسة التاريخية الجزائرية" الذي خصه بجزء معتبر من الدراسة بلغ ثمانية و تسعين صفحة ، شمل كل الأوجه المتعلقة بشخصية و فكر و دور أبي القاسم سعد الله، و من أجل المقارنة و النقد رجعت إلى بعض ما كتب المؤرخون الجزائريون البارزين المتخصصين في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر من أمثال الأستاذ ناصر الدين سعيدوني والأستاذ الراحل جمال قنان .

و إثراء للدراسة رجعت أيضا إلى بعض الحوارات التي أجرتها معه وسائل الإعلام المكتوبة و المرئية، و كذلك المقالات التي تناولته في الملتقيات و المجلات من قبل المؤرخين و الكتاب الجزائريين و غيرهم.

8- <u>صعوبات الدراسة</u>:

إن أول عائق صادفني هو قلة الوقت بالنظر إلى طبيعة الموضوع المركب من جهة و كذلك طبيعة الشخصية محل البحث التي تعد معلمة من معالم الجزائر لا يمكن الإحاطة

بفكره و انجازاته و مؤلفاته العلمية و الأدبية و الفكرية و تقييم مسيرته في عمل من هذا المستوى، إذ لا يمكن بناء موقف متكامل و موضوعي إزاء شخصيته إلا بالوقوف على كل كتاباته و تحليلها على ضوء الظروف والأعمال التي أحاطت به للوقوف على نسبية و موضوعية آرائه، و يتطلب ذلك وقتا كثيرا، و لهذا فمهما كان اجتهادي و حرصي لإيفاء الرجل حقه في إحدى جوانب الأبحاث التي شغلته ردحا من الزمن فإنها لن ترقى سوى لتغطية الشيء اليسير من سيرته و أفكاره، و ليس من باب الإطراء و المدح الإقرار بذلك، بل أن عمله الذي بلغ الآفاق أرحب و أعمق و اشمل من أن تغطيه محاولة بحثية لم تتعد بضعة أشهر.

و من العوائق التي حدت من جهودي البنية الواحدة للموضوع و إشكالية التداخل بين عناصر و مطالب و مباحث الفصول ، فقد تطلب منى جهدا و وقتا كثيرا لفرزها و تبويبها على النحو الذي يراعي التسلسل و التدرج و الشمولية و الدقة . و مع ذلك فإن عامل الوقت قد حال دون تمحيص و إمعان النظر و البحث في المصادر و المراجع الأخرى لغرض المقارنة و التدقيق و التحليل بما فيه كفاية.

- المبحث الأول: المولد و النشأة:

ولد أبو القاسم سعدالله بقرية البدوع قرب مدينة قمار الغربية بمنطقة وادي سوف سنة1930ونظرا لعدم وجود إجراءات التقييد الدقيق بخصوص تاريخ ميلاده فإن أهله من قدر ذلك تقديرا . و ينحدر من أسرة ذات أصول عربية المعروفة بأولاد علي مسعودة الكثيرة الأفراد وتنتسب من جهة الأب إلى عرش أولاد عبد القادر ومن جهة الأم إلى عرش أولاد بوعافية[1]. ويعد أهله من أوائل الفلاحين الذين عمروا القرية لتوفرها على المياه العذبة، مما ساعد أيضا عل غراسة النخيل وامتهان النشاط الفلاحي[2]، إلا أن غلبة الطابع الصحراوي على البلدة المفتوحة على مؤثرات الرمال و الرياح كان يحد من شروط الفلاحة ولا يسد جاجيات المعيشة مما حمل سكان سوف على التجارة والأسفار البعيدة خاصة نحو إفريقيا وتونس وليبيا، وقد أكسبتهم تحمل أتعاب الرحلة والصبر على شظف العيش[3].

لقد كانت أسرته التي امتهنت الزراعة فقيرة، ومما زاد الوضع سوءا الغبن و الحرمان الناجم عن سياسة الاحتلال الجائرة ، و عجز والده عن تسديد ديونه و زجها به في السجن إذ ولد و عاش والده في واحدة من أشد فترات الاحتلال الفرنسي وطأة على الجزائريين و المتمثلة في عهد النظام المدني الذي بلغت فيه هيمنة المعمرين درجة من السطوة و الاستغلال[4].و قد بلغت الفاقة أحيانا خاصة في أزمنة الحروب إلى درجة الاضطرار لأكل أوراق النباتات والتقوت على ما مقداره خمس حبات من التمر للفرد يوميا للحيلولة دون الموت جوعا، و مما شاع أيضا بين إخوته التداول

[1]- مراد وزناجي : **حديث صريح مع أ.د. أبو القاسم سعد الله في الفكر و الثقافة و اللغة و التاريخ**، متيجة للطباعة، براقي، الجزائر،ط 3 ، 2013، ص،ص25-26

[2]- بوضرساية بوعزة: **رواد المدرسة التاريخية الجزائرية**،دار الحكمة، الجزائر ،2006،ص،ص202-103

[3]- مراد وزناجي : المرجع نفسه ، ص،ص 26-28

[4]- بوضرساية بوعزة: المرجع نفسه ،ص،ص202-103

على الألبسة من الأكبر إلى الأصغر[1].و كان أفراد أسرته عند ميلاده لا يفترشون سوى الرمال و لا تظلهم سوى سقائف الجريد[2] .

باشر دراسته في كتاب البدوع و هو ابن الخامسة [3]، و رأى أهله بضرورة تدرج ابنهم في التعليم بالبدء بحفظ شيء من القرآن الكريم لغرض غرس حب كتاب الله في نفسه وكذلك حتى يستقيم لسانه ، و بذلك يتدرج في المراحل الأخرى حتى يحقق الحلم الذي راود والده و هو الوصول إلى الدرجة التي بلغها خاله هالي الحفناوي كونه خريج جامع الزيتونة و أحد كبار نشطاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، و بالتالي كان يحذوه الأمل أن يكون ابنهم حافظا للقرآن الكريم و طالبا للعلم. و لكن لم ينتظم تحصيله العلمي في مرحلته الأولى هذه في جامع القبلي بالبدوع لعدم استقرار المعلمين إلا بعد قدوم أبو القاسم البرية المعروف بالشيخ الزبيري و لكنه كان قد بلغ سن الحادية عشر، و مع ذلك فقد تمكن بفضل جهود هذا الرجل من إنهاء حفظ القرآن الكريم و تكراره على يده ثلاث مرات، ثم عمل على تمتين حفظه و ترسيخه له من خلال تقديمه له لصلاة التراويح ، و اكتفى الشيخ حينها على مرافقته له و التصحيح له أثناء الصلاة[4].

إن الفقر و قساوة ظروف المعيشة لم تؤثر سلبا على نشأة أبي القاسم سعد الله بفعل التربية الأسرية المحافظة التي تلقاها في صباه بالبدوع، و على العكس من ذلك فقد كان ذلك دافعا إيجابيا له للنجاح و التفوق للتعويض عن معاناة الأسرة و رغبته الملحة على تعويض والده ماديا نظير تكاليف الدراسة التي أنفقها عليه عندما كان صغيرا رغم متطلبات و التزامات والده المتعددة[5].

و بعد حفظه للقرآن الكريم اعتزم سنة 1946 الرحلة إلى جامع الزيتونة ، خاصة و أن زيارة عبد الحميد ابن باديس للقرية سنة1936 قد تركت صدى كبير في نفوس أبناء القرية، و

---

[1]-مراد وزناجي : المرجع السابق ،ص 26

[2]–لعرج جبران:"**أبو القاسم سعد الله الإنسان والباحث من خلال الشهادات**"،المجلة المغاربية للدراسات التاريخية و الاجتماعية جامعة سيدي بلعباس المجلد 7، العدد02،ديسمبر 2016، ص134

[3]– بوعزة بوضرساية: المرجع السابق ، ص105

[4] - مراد وزناجي :المرجع نفسه، ص ،ص28–29

[5] -رضوان شافو: "**عوامل التأثير الثقافي و الاجتماعي في تكوين شخصية أبي القاسم سعد الله**" ، الملتقى الدولي أبو القاسم سعد الله مؤرخا و مفكرا يومي 13و14 ديسمبر 2016، جامعة الوادي ، الجزائر ،ص29

هو حب العلم و بذل النفس لطلبه، فضلا عن تخصيص معلمين اثنين دائمين لجامع القبلي[1]مما شجعهم على مواصلة طلب العلم بالتوجه إلى جامع الزيتونة بتونس، إذ بلغ عدد شباب القرية الذين التحقوا بالأخير عشرون شابا، و كان من بينهم أبو القاسم سعد الله سنة 1947م[2].و ثمة من ذهب إلى القول أنه قد التحق بتونس وهو في سن الرابعة عشر، و إذا صح هذا القول فان تاريخ التحاقه به كان سنة1944[3]، و لكن الأرجح هي سنة 1947 و هي السنة التي تعتبر أيضا سنة معلمية في تاريخ الجزائر .

و من بين أسبا هجرة أبي القاسم سعد الله إلى تونس سنة 1947 الهيمنة الاستعمارية على بلدته منذ احتلال فرنسا لها سنة 1854 و مساعي فرنسا للقضاء على الهوية الوطنية من خلال إثقال كاهل الجزائريين بالضرائب كوسيلة لتفكيك المجتمع و منع قيام نخبة وطنية تهدد التواجد الاستعماري بالمنطقة ، و بالتالي فقد هاجر إلى تونس لمواصلة دراسته و هو يضمر كرها شديد للاستعمار الفرنسي، و كان ذلك دافعا لحمل لواء المقاومة الفكرية مبكرا و الاعتماد على الصحافة لنقد و كشف حقيقة السياسة الاستعمارية في المهج ، متطلعا إلى الحرية و الاستقلال، و بالتالي برز منذ بداية الخمسينات من القرن الفارط كعنص نشيط في حركة التحرير الوطني[4] .

و من أقرباء أبي القاسم سعد الله الذين يرد لهم فضل تفرغه و نجاحه في حياته الدراسية ثم الاجتماعية و المهنية ، إخوته من أبيه و إخوته الأشقاء ، الذين تجشموا مشقة الأعمال المنزلية فاسحين له المجال للتعلم ، بالإضافة إلى زوج خالته الشيخ الطاهر التليلي الذي أقنع والده و شجعه على قبول اغتراب ابنه في سبيل طلب العلم ، كما يعزو الفضل لخاله الحفناوي هالي و ما لقيه من قبله من نصح و تحفيز و توجيه أثناء الدراسة خاصة حول الكتب التي يجب الاطلاع عليها و الكتب التي يجب تفاديها [5].

---

[1]– مراد وزناجي :المرجع السابق، ص ،ص28–29

[2] – بوعزة بوضرساية: المرجع السابق ، ص105

[3]– خالد بلعربي:"**المؤرخ أبو القاسم سعد الله و منهجه في الكتابة التاريخية**"،المجلة المغاربية للدراسات التاريخية،جامعة سيدي بلعباس ،المجلد 07، العدد02سبتمبر 2016، ص75

[4] - رضوان شافو: "**عوامل التأثير الثقافي و الاجتماعي في تكوين شخصية أبي القاسم سعد الله**" المرجع السابق ،ص30

[5]–مراد وزناجي : المرجع نفسه ،ص199

و يقر أبو القاسم سعد الله أن مستواه العلمي بعد إنهائه لمرحلة التعليم الأولي في البدوع كان جد محدود ، و رغم كونه حافظا للقرآن الكريم إلا أنه كان يجهل كيفيات الترتيل فضلا عن عجزه في مجال التحرير و مبادئ الحساب و قواعد الفقه[1] .

و بخصوص الجدل القائم حول اسمه الحقيقي فإنه يؤكد أن اسمه في الأصل هو بلقاسم و في النطق الدارج ينطق بلقاسم بإضافة نقطة فوق القاف ، و أنه هو من استخدم أبو القاسم في الأدبيات، إذ ظهر على ذلك النحو مع بعض مؤلفاته و مقالاته الأولى مضيفا لها القماري إشارة إلى بلدته قمار بوادي سوف ، و استخدم هو شخصيا اسمه بلقاسم أي دون أبو في أعماله مع رابطة القلم الجديد عندما كان في تونس. و أما ورود اسمه أبو القاسم أحمد سعد الله فهذا يعود إلى الطريقة التي يذكر بها اسم الشخص في المشرق العربي ، فيذكرونه بالتسلسل اسم الشخص و الجد و العائلة (الاسم الثلاثي) و أحمد هو اسم والده[2].

[1]–مراد وزناجي : المرجع السابق ، ص31

[2]– مراد وزناجي : المرجع نفسه ، ص،ص 78–79

- المطلب الأول: مواصلة دراسته في تونس:

و من العوامل التي مهدت الطريق لأبي القاسم سعد الله لالتحاق بجامع الزيتونة،أن والده قد اختاره من بين إخوته الأكبر منه سنا رغم رغبتهم في الدراسة،لحاجة والدهم إليهم لمساعدته في العمل، و كذلك علاقة الوالد بصهره الشيخ محمد الطاهر التليلي و تقارب رؤاهما و انتمائهما لحركة الإصلاح ، إذ كان الوالد متأثرا بفكرة الإصلاح ، مما دفعه لتشجيع ابنه للرحلة إلى تونس و الالتحاق بجامع الزيتونة.

إن بساطة التعليم الذي تلقاه في البدوع استوجب للالتحاق بجامع الزيتونة اجتياز امتحان تأهيلي وصفه بالعسير سنة 1947 تقرر على إثره وضعه في السنة الأولى بدلا من السنة الثانية أو الثالثة على خلاف التوجيه الذي لقيه الآخرون ، و بالتالي فقد أعيد له التعليم الابتدائي من البداية ، إلى أن تمكن من إنهاء المرحلة الأولى هذه الممتدة على خمس سنوات عام 1951 و الحصول على شهادة الأهلية ، ثم تدرج بعدها في المرحلة الموالية ليتمكن من افتكاك شهادة التحصيل التي تعادل حسب نظام التعليم التونسي حينئذ الثانوية و ذلك سنة 1954 [1].

تعد فترة الدراسة التي قضاها أبو القاسم سعد الله في تونس1947-1954 فترة جد حساسة في حياته ، و نمو وعيه السياسي ، بسبب التقاءه الطلبة من مختلف ربوع الجزائر و الحرية التي نعم به إذاك، فتحرر بذلك من القوقعة المحلية ، و السبب الثاني هو تزامن تلك الفترة مع الثورة التونسية، و دور نشاط الحزب الدستوري التونسي الجديد بقيادة بورقيبة ، خاصة في وسط الطلبة و تعبئتهم في المظاهرات الليلية من المدارس التي كانوا يسكنونها ضد الحماية التونسية إذ شارك فيها في السنة الأولى من دراسته عندما كان مقيما في مدرسة صاحب

[1]- مراد وزناجي : المرجع السابق ، ص،ص30-31

الطابع ، ثم انقطع عن هذه المظاهرات بعد انتقاله إلى جامع القصر ، لعدم وجود نشطاء الثورة في إقامته الجديدة تلك.[1]

و بعد السنة الأولى التي قضاها مقيما في مدرسة تابعة لجامع صاحب الطابع ، فإن السنوات الستة الأخرى التي مكثها في تونس قد أقامها في بيت باب المنارة في جامع القصر مع الحاج ماما ، قيم الجامع ، و هو من أصول وادي سوف ، و قد تكفل هذا المؤذن بغذاء و عشاء أبو القاسم سعد الله رفقة طالب آخر، و هو محمد الياجوري الذي أقام معه لمدة سنتين إذ كان يعد لهما الطعام بنفسه، و أحيانا يجلبه لهما من دور المحسنين.[2]

إن البيت الذي أوى أبو القاسم سعد الله هو مقصورة جامع القصر ، فهو فضاء للطبخ و الدراسة في آن واحد ، و كان يأوي إليه طلبة آخرون من حين لآخر ، و حرصا على النجاح و التفوق الدراسي كان يقوم بشراء شمعة و يوقدها داخل صندوق فارغ من اللوح حتى تبعث له ما يكفيه من النور و لوحده ، و يطفئها عند النوم.[3]

و يقر أبو القاسم سعد الله أنه عندما تقدم به العهد في تونس كان يذهب أسبوعيا إلى قاعة السينيماء المسماة الحمراء أو الأخرى المعروفة بسيني سوار، المتخصصتان في عرض الأفلام العربية ، و الأفلام الغنائية و الاستعراضية أو الدرامية، و لكن الجانب الأكثر تسلية له الأدب و كثرة المطالعة ، و كثيرا ما كان يكمل قراءة كتابا أدبيا ما صغير أو متوسط الحجم في ليلة واحدة، و أفضل و أكثر الأوقات المخصصة للمطالعة كانت نهاية الأسبوع، و من أهم تلك الروايات التي قرأها، روايات علي الجارم حول الأندلس أو المتنبي (آخر المطاف، الشاعر الطموح..) و روايات جورجي زيدان و جبران خليل جبران، و كتب المعارك الأدبية والنقدية(الأدب القديم و الحديث،أدب المشرق و أدب المهجر،جماعة الديوان، و جماعة أبولو..إلخ).[4]

---

[1]- مراد وزناجي : المرجع السابق، ص39

[2]- مراد وزناجي :المرجع نفسه،ص80-83

[3]- بوعزة بوضرساية: المرجع السابق، ،ص،ص 107-108

[4]- مراد وزناجي : المرجع نفسه، ص ، ص80-83

وكان أيضا أحد المداومين على اقتناء وقراءة جريدة البصائر و جريدة المنار الموالية حسب رأيه لحزب الشعب، و جريدة الشعلة المعروفة بأسلوبها و نقدها اللاذع لأدعياء التصوف و القياد في الجزائر ، و من خلال تلك الصحف كان أبو القاسم يطلع على أحوال الجزائر.

وقد تفاوتت أيضا درجة تأثير شيوخ الزيتونة الذين درسوه وشعر بالفرق بين الذين كان لهم تأثير محدود على الطلبة بسبب طرق التدريس القائمة على التلقين ونقل المعارف، و بين الشيوخ الأكفاء و المخلصين ، الذين كانوا يكونون الشباب تكوينا هادفا ، و من أبرزهم على حد تقديره الصادق بسيس و محمد العنابي و المختار الوزير، كما استفاد من أساتذة الصادقية الذين استعان بهم جامع الزيتونة و أخذ عنهم مبادئ الحساب و الكيمياء و الفيزياء و التاريخ الطبيعي و تمدرس عليهم بالطرق والوسائل الحديثة من نظام الحجرات و السبورات ، على خلاف الفقه و أصول الفقه و التوحيد و النحو و الصرف التي كانت تدرس بنظام الحلقات، و بذلك استفاد من النمطين التعليميين، التقليدي و العصري.

وعلى الرغم من نجاح الزيتونة وفق النظام التعليمي المتبع من التوفيق بين العلوم العصرية و التقليدية، إلا أن ميول أبو القاسم سعد الله كانت تشده إلى مادة الأدب بمعناها الواسع، إذ كان شيوخ الأدب أحب إليه من البقية، ومما زاد من تعلقه بهذه المادة التشجيع و التحفيز الذي لقيه من قبل بعض أساتذته، ويذكر بالتحديد و التخصيص كل من علي الأصرم و الشيخ مصطفى المؤدب[1].

لقد قضى أبو القاسم سعد الله سبع سنوات كاملة بجامع الزيتونة (1947-1954) و حملته الظروف على امتهان نشاط تجاري بسيط تمثل في بيع زجاجات الحليب صباحا على بعض البيوت لغرض تدبير أعباء و تكاليف دراسته و توفير قوت يومه بنفسه ، و كانت عائدات ذلك النشاط في حدود سد الرمق ليس إلا.[2]

[1]- مراد وزناجي : المرجع السابق، ص ، ص37-41

[2]- بوعزة بوضرساية :المرجع السابق، ص107

لقد استفاد من دراسته في تونس من خلال مطالعاته الواسعة الوقوف على كل ما كان ينشر من ثقافة متنوعة ، و هي الكتب التي أثرت بشكل بالغ في تكوينه و رصيده المعرفي و اللغوي و تهذيب مواهبه في الشعر و فن القصص [1].

إن تأثير الظروف التي أحاطت بفترة مكوثه بتونس قد بلورت نظرة و مفهوم الرجل للسياق التاريخي للبلاد العربية و الإسلامية عموما و المغرب العربي و الجزائر خصوصا و يتجلى ذلك من خلال أولى أعماله الأدبية الأولى و المقالات التي نشرت له في الجرائد و المجلات حينئذ ، و من بينها أرض الملاحم ، و التي يقصد بها الجزائر، و التي نشرتها له مجلة البصائر و مجلة الآداب البيروتية في صيف 1954، كما نشرت له البصائر عملا نقديا و تحليليا لبعض أشعار ابن الرومي في حلقات عديدة ، كما نشرت له نقده لكتاب مع حمار الحكيم لأحمد رضا حوحو ، و من الصحف التونسية التي كتب فيها أعماله الشعرية مجلة المعارف ، و نظرا لحبه الكتابة فقد انتمى كعضو مؤسس لرابطة القلم الجديد التي ضمت أدباء من تونس و الجزائر.

ومن بين الأعمال الأولى التي قام بها ، قصيدة في مدح البشير الإبراهيمي نشرتها له جريدة الأسبوع التونسية، بالإضافة إلى قصيدة غيوم التي أنجزها قبل اندلاع ثورة 1954 المضفرة ، التي يتحدث فيها عن الحرية و الاستقلال.[2] و نظرا لولعه وقتئذ بالأدب و نبوغه المبكر في مجالاته المختلفة فقد لقب و هو لا يزال يافعا بالناقد الصغير[3].

يعد أبو القاسم سعد الله أحد مؤسسي و نشطاء رابطة القلم الجديد في تونس رفقة طلبة و أدباء من تونس و الجزائر.و يمكن التماس أهمية عضوية و نشاط الرجل في الرابطة السالفة الذكر في طبيعة الشخصيات الهامة التي شاركها هذا العمل، و من أبرزها الشاذلي زوكار أحد الدبلوماسيين التونسيين المرموقين لاحقا، و كذلك الشاعر منور صمادح ، و الأديب بلقاسم

---

[1]–لوصيف سفيان:"**المؤرخ أبو القاسم سعد الله و كتابة تاريخ الجزائر**"،مجلة دراسات وأبحاث، العدد28، سبتمبر 2017، ص264

[2]– مراد وزناجي: المرجع السابق، ص،ص36–37

[3]–عبد الهادي حسين:"**منهج المؤرخ سعد الله في تصدير المؤلفات التاريخية**"،المجلة المغاربية للدراسات التاريخية و الاجتماعية ، المجلد 07،العدد02،ديسمبر 2016، ص193

بلحسن. ومن الطلبة الجزائيين نجد جنيدي خليفة ، ومحمد علي أكرم، ومحمد العيد الخطراوي و إلى جانب نشاطه في الرابطة ، كان يكتب أيضا و باسم الرابطة في البصائر و في مجلة الأدب.

كانت فترة الدراسة التي قضاها في تونس جد خصبة ، فإلى جانب الآفاق العلمية و المعرفية التي تفتق عقله عليها ، فقد ولي مهام كثيرة و حساسة و هو لا يزال في مقتبل العمر، إذ ولي رئاسة بعثة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بتونس سنة 1952 على إثر تخرج رئيسها الأسبق ، و هذا بتكليف من الشيخ العربي التبسي الذي كان وقتئذ مديرا لمعهد ابن باديس ، ورغم رفض أبو القاسم هذا التكليف أكثر من مرة ، إلا أن إصرار الشيخ التبسي على الأمر قد حمله على قبول الرئاسة بشكل مؤقت، و مع ذلك بقي على هذه المهمة إلى أنأنهى دراسته و تخرج سنة 1954. و قد شهدت فترة توليه رئاسة بعثة الجمعية نشاطا متكاملا مع الطلاب الآخرين بما فيهم المتسيسين ، و من أبرز الطلبة الذين عاصرهم بعض الوقت مولود قاسم نايت بلقاسم و محمد مرازقة و الجنيدي خليفة .

و عندما اندلعت ثورة التحرير المظفرة (01نوفمبر1954) كان أبو القاسم سعد الله في فترة اجتياز الامتحانات في جامع الزيتونة ، و بلغته أنبائها من خلال الصحف التونسية و كان يتتبع أحداث الثورة منذ سنتها الأولى[1]. و على الرغم من تعلقه التام بالدراسة و شغفه بها إلا أنه و على غرار بقية الطلبة الجزائريين كان قلبه ينبض بالثورة مؤمنا و مدافعا عنها، و يتجلى ذلك من خلال مجموعته الشعرية الأولى التي جاءت تحت عنوان النصر للجزائر سنة 1957 ، و قد غمرته بالفخر و الاعتزاز كونها تعد إسهاما منه في الكفاح الوطني إذ اشتملت على قصائد و طنية و ثورية منها الثائر الأسير و ثورة أول نوفمبر.[2]

لقد برز منذ بداية الخمسينات من القرن المنصرم شاعرا شابا ، و قاصا مبدعا، و قارئا نهما ،ذو إطلاع على الثقافة المشرقية ، و نجح في نشر أشعاره و تجاربه القصصية و خواطره الأولى و هو لم يبلغ العشرين من العمر، فوفق بين المطالعة و النشر، و بذلك كانت فترة دراسته بتونس فترة الانطلاقة و المساهمة في الحياة الادبية و التحرر من المخاوف النفسية و

[1]– مراد وزناجي: المرجع السابق ، ص110

[2]– مراد وزناجي : المرجع نفسه ،ص،ص 67-68

تفتح عقله على العلم و ما انطوت عليه من تحديات و نقاشات فكرية في جو من الانتقاد و الاختلاف الذي تقتضيه سلطة المذاهب الأدبية و المدارس الاجتماعية و الفلسفية [1].

لقد تطلع أبو القاسم سعد الله لتعلم اللغات الأجنبية منذ التحاقه بتونس ، إذ شعر بالفروق الثقافية بينه و بين أقرانه من المتمدرسين و المتخرجين من المدارس الفرنسية ، و أدرك أن الأخيرين " أكثر تحررا و أنشط ذهنا و أكثر تسامحا " و حاول وقتئذ استدراك ذلك النقص بمحاولة تعلم الفرنسية على يدي أصدقائه ثم على يدي الآباء البيض لكنه لم يوفق في ذلك.[2] و على الرغم من تخصيص الأخيرين لأبي القاسم سعد الله معلمين لهذا الغرض و بمعدل حصتين في الأسبوع ، إلا أنه سرعان ما انقطع عنها لسببين، وهما خوفه من تأثيرهم على عقيدته ،وكذلك الوقت الذي تأخذه العملية على حساب دراسته العادية.

و عندما ولي رئاسة البعثة الزيتونية للجمعية بادر للكتابة في جريدة البصائر،و كتب الشعر و في موضوعات أخرى ، و منها "أمة المجد في الميدان" و كتب في الجريدة بعنوان بارز ما يدور حول شمال إفريقيا و مسعى الحرية و الاستقلال .و رغم توليته رئاسة البعثة الزيتونية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين (1952-1954) إلا أنه عندما هم بالتنقل إلى المشرق لمواصلة الدراسة بعد حصوله على شهادة التحصيل سن1954 وطلبه منحة دراسية من الجمعية قد لقي الرفض باعتباره لم يكن من طلبة البعثة، وقد صدمه ذلك القرار[3]. و اضطر إلى العودة إلى الجزائر يوم 19 نوفمبر 1954 لغرض العمل و تدبير تكاليف السفر إلى مصر لمواصلة الدراسة ، و وجد نفسه مرة أخرى مرغما على معالجة الوضعية بمفرده ، و باشر مهنة التعليم فور وصوله إلى مدينة الجزائر. وعين مدرسا بمدرسة الثبات بالحراش و اضطرته الظروف لاتخاذ حماما مسكنا له رفقة زميل له ، قبل أن يتخلى عن هذه المدرسة بعد بضعة أشهر و التي كانت تحت إدارة الشهيد ربيع بوشامة و التحول إلى مدرسة التهذيب بإغراء من

---

[1] - عاشوري قمعون: " **العلامة الموسوعي الشهير الدكتور أبو القاسم سعد الله** " ، الملتقى الدولي أبو القاسم سعد الله مؤرخا و مفكرا يومي 13و14 ديسمبر 2016، جامعة الوادي ، الجزائر ،ص،ص 10-11

[2]- مراد وزناجي : المرجع السابق ،ص199

[3]- مراد وزناجي : المرجع نفسه ، ص، ص 35-46

مديرها محمد الحسن فضلاء بحي عين الباردة بأعالي مدينة الجزائر. لقد شعر أبو القاسم سعد الله بغربة و وحشة مهولة في مدينة الجزائر بفعل أحداث الثورة[1].

وتعددت أدواره في مدرسة التهذيب، بين تدريس التلاميذ وتعليمهم اللغة العربية و في المساء يلقي دروسا في التاريخ الإسلامي على الكبار. و كان يتلقى راتبا شهريا قدره 17ألف فرنك فرنسي قديم سمح له من جمع مائة ألف فرنك ، و لم يبق له سوى الحصول على جواز السفر لتحقيق حلمه . و تمكن رغم عدم استيفاءه مدة الإقامة القانونية في المدينة للحصول على وثيقة الإقامة بوساطة من خاله هالي الحفناوي ، لكنه سرعان ما اصطدم بشرط آخر للحصول على جواز السفر و هو تأدية الخدمة العسكرية في الجيش الفرنسي ، و عبر قائلا عن هذه المشكلة "...فوجدت الباب مسدودا ، لا أستطيع خدمة العلم الفرنسي، و لا استطيع الخروج دون جواز سفر..." و قد اهتدى إلى فكرة الحصول على جواز سفر فرنسي من تونس طالما أقام فيها سبع سنوات ذاهبا إلى الحج و ليس للدراسة ، و تمكن من الحصول عليه بوساطة و دعم من مدير جريدة الأسبوع التونسية.[2]

و ازداد طموحه لمواصلة الدراسة في المشرق العربي بعد أن علم بتولي البشير الإبراهيمي بنفسه سنة 1952 عملية الاتصال ببعض الدول العربية و الإسلامية لاستقبال الطلبة الجزائريين و التكفل بهم ، و عبر عن رغبته تلك قائلا "...لم تكن لدي شواغل أخرى أفكر فيها أو أعيش معها ما عدا الدراسة..."[3]

[1]– بوعزة بوضرساية: المرجع السابق ، ص، ص110–111

[2]– مراد وزناجي : المرجع السابق ، ص، ص 47–55

[3]– مراد وزناجي :المرجع نفسه ، ص41

المطلب الثاني: دراسته في مصر:

بعد حصول أبو القاسم سعد الله على جواز سفره في تونس سافر إلى مصر، و قد وصل إلى القاهرة يوم 24سبتمبر1955 ليلا ، و رأى بالتوجه إلى مركز جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، و التقى في تلك الليلة و لأول مرة بالبشير الإبراهيمي ، إذ يقول"..طرقت الباب ،ففتح لي الشيخ الإبراهيمي بنفسه و هو يعرج كما تعلمون..." و لامه الإبراهيمي على تأخره عن الالتحاق بالجامعة ، و اضطر للإقامة في المركز لمدة خمسة عشر يوما ، و لم يتمكن من مباشرة الدراسة حينها لفوات أوان التسجيلات، ونفذ له ما كان بحوزته من مال و كان بدون عمل ، و استمر عليه الحال إلى غاية12ديسمبر1955 حيث تمكن من التسجيل في القسم العام بجامعة الأزهر الشريف لغرض ضمان الإقامة الداخلية ، و بعد أن حصل على الإقامة سجل كطالب في دار العلوم ، و هذا بعد اجتيازه اختبار من قبل لجنة ضمت عمر الدسوقي و أستاذ آخر، وحصل على اثر نجاحه في الاختبار على منحة جامعة الدول العربية.

لقد أخذت أوضاع أبو القاسم سعد الله في التحسن تدريجيا ، خاصة بعد حصوله بدوره على إعانة الجمعية على غرار بقية طلبة البعثة و المقدرة بجنيهين شهريا ، ثم ارتفعت إلى ثلاث جنيهات لكل الطلبة الجزائريين في صيف أو خريف 1956 بعد أن أصبحوا جميعا تحت مظلة جبهة التحرير الوطني[1]. و رغم حصوله بعدها على الإقامة في جامعة الأزهر إلا أنه قد فضل كراء شقة رفقة طالبين جزائريين آخرين بضاحية المعادي بكلفة ثلاث جنيهات شهريا و هناك قضى معظم سنوات دراسته بالقاهرة.

و من بين الشخصيات الهامة في الساحتين العربية و الإسلامية التي التقى بها أبو القاسم سعد الله في الأسبوع الأول من حلوله بالقاهرة عبد الكريم الخطابي بمناسبة حفلة نظمتها جمعية الشبان المسلمين، والتي حضرها بدعوة من البشير الإبراهيمي الذي رافقه شخصيا و هو

[1]– مراد وزناجي: المرجع السابق ، ص،ص56–60

اللقاء الذي اعتد به أبو القاسم سعد الله كونه جلس رفقة الإبراهيمي إلى جنب الخطابي الذي حدثه و نصحه حاثا إياه على الدراسة بما يؤهله ليكون في مستوى الأحداث في الجزائر[1].

و من بين الشخصيات القيادية البارزة و الشخصيات الثورية الفاعلة التي التقى بها أيضا في إطار النشاط و الملتقيات التي عقدها هؤلاء مع الطلبة الجزائريين في القاهرة ، نجد كل من فرحات عباس ، وبن يوسف بن خدة ،و كريم بلقاسم ، و بلعيد عبد السلام ، و مالك بن نبي ، و إبراهيم مزهودي ، و أحمد توفيق المدني ، و أعمر أوعمران ، و الإبراهيمي و محمد يزيد ، و عبد الحفيظ بوصوف ، و عبد الحميد مهري ،كل هؤلاء قد حصل لأبي القاسم سعد الله رفقة الطلبة الجزائريين فرص الالتقاء بهم في مناسبات الأعياد و غيرها من المناسبات بل أن البعض من تلك الشخصيات قد تلقت الدعوة من قبل أبي القاسم شخصيا لإلقاء المحاضرات بحكم مهامه في إطار النشاط الثقافي للإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين.

و لم يقتصر نشاط أبو القاسم سعد الله على الدراسة و العمل الثقافي ، بل مس أيضا المجال السياسي ، و السبب الأول أن نشاط الطلبة في المشرق العربي سواء بفروع الرابطة في البداية أو الاتحاد فيما بعد كان تحت مظلة جبهة التحرير الوطني ، و السبب الثاني أن مساهمة الطلبة الجزائريين في نشاط الطلاب العرب كان باسم الجزائر، ومن بين هيئاته نادي طلبة المغرب العربي و فروعه الثلاثة للجزائر و تونس و المغرب الأقصى ، فهذه الفروع كانت تقوم بأنشطة ثقافية و سياسية أحيانا باسم الفروع و أحيانا باسم اتحاد طلاب العرب الذي تأسس سنة 1958 و قبل 1956 كان الطلبة الجزائريون مشتتين عبر دول العالم ثم انتظموا في الاتحاد لهدف واحد و هو تحرير البلاد ، و كان لزاما جراء ذلك على كل طالب جزائري عدم الانتماء لأي تنظيم آخر سواء جزائري أو عربي ، فالإطار هو الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين تحت لواء جبهة التحرير الوطني ، و بذلك امتزج الإحساس بالمسؤولية للنجاح الدراسي و الكفاح المسلح معا.

و تعد رابطة الطلبة الجزائريين في القاهرة التي ينتسب إليها أبو القاسم سعد الله من أنشط فروع الطلبة العرب في المشرق العربي ، و تولى فيها الشؤون الثقافية ، و لهذا قبل وبإلحاح من زملائه الطلبة تولية نفس المهام في الاتحاد العام الطلبة الجزائريين بعد حصول

[1]– مراد وزناجي : المرجع السابق ،ص،ص 100–102

الرابطة على العضوية الرسمية في جوان1959 ، و تكمن أهمية عضويته في هذه التنظيمات الطلابية بالقاهرة كونها كانت تعيش حياة سياسية و ثقافية و طلابية خصبة ، وهذا ما زاد أفق سعد الله اتساعا للاطلاع على الأحداث و استيعاب أبعادها و تداعياتها من خلال الإذاعة و الصحف و مناقشتها في الملتقيات و الندوات ، فضلا عن الالتقاء بقيادات الثورة ، و أكسبته الدراية و الوعي بمجريات الأحداث [1].

لقد فقد أبو القاسم سعد الله والده في 17 نوفمبر1957 و هو في القاهرة و الثورة في أشدها ، و لم يبلغ بالأمر إلا بعد مرور شهر ، فرثاه نثرا و أهداه مجموعته الشعرية ، إذ سمى الزمن الأخضر ديوان سعد الله ، و هو يضم مجموعة النصر للجزائر ، و رغم وقع وفاة والده عليه إلا أن وقع الثورة كان أشد ، إذ قال في هذا الصدد "...إنني لم أتمكن من حضور جنازته و إنه صار جزءا صغيرا بالنسبة للثورة الجزائرية و بالنسبة للشهداء و المكافحين الذين يسقطون على يد الاستعمار ، و إنني صرت أعيش للثورة و لا أعيش لنفسي و أسرتي..." ولعل ما حز في نفسه في وفاة والده هو إلحاحه رفقة والدته في حياتهما عليه بالزواج منذ كان لا يزال طالبا في تونس ، و لكن خوفه من الانقطاع عن الدراسة في حالة الزواج كان يدفعه إلى وعدهما بذلك في كل مرة إلى حين ، و ظل هكذا أعزبا إلى أن عاد من الو.م.أ و عمره أربعون سنة [2].

و أما على صعيد مصر فقد عايش و تفاعل مع العدوان الثلاثي على مصر سنة1956و بطلب من جبهة التحرير الوطني و عن طريق رابطة الطلبة الجزائريين بالقاهرة التي طلبت من الطلبة الجزائريين مؤازرة مصر ، فكان أحد المتطوعين في المقاومة الشعبية و دخل ميدان التدريب العسكري في الساحة الملحقة لجمعية الشباب المسلمين ، إذ تم توزيع المتطوعين على مؤسسات و شركات و نقاط معينة للحراسة ليلا ، و يعتبر أبو القاسم سعد الله هذا الموقف تعبيرا عنالاعتراف بجميل مصر و ما تقدمه للثورة الجزائرية ، زيادة على مشاركة فرنسا في العدوان [3].

لقد أبدى أبو القاسم سعد الله من خلال أنشطة الطلبة الجزائريين بمصر أثناء ثورة التحرير حماسه الثوري معلنا في لقاء في القاهرة للطلبة الجزائريين ، حضرته شخصيات ثورية

---

[1]– مراد وزناجي : المرجع السابق ، ص،ص60–64

[2]– مراد وزناجي : المرجع نفسه ، ص ص90–91

[3]– مراد وزناجي : المرجع نفسه ، ص ، 140

بارزة أمثال أحمد توفيق المدني و بن يوسف بن خدة و آخرون أنه و بمعية الطلبة جنود احتياط يتحملون المسؤولية معتبرين أنفسهم تحت السلاح ، ينتظرون الإشارة لأداء الرسالة المقدسة التي يطلبها الوطن، و أن الجزائر لن تبيع شبرا من أراضيها و لن تتنازل عن ذرة واحدة من أرضها لأي كان و مهما كان الثمن [1].

و من بين الشخصيات القيادية التي حلت في القاهرة لغرض تجنيد الطلبة الجزائريين في العمل المسلح في الجزائر العقيد أعمر أوعمران ، و كان من بين هؤلاء الطلبة الذين استجابوا للعملية أبو القاسم سعد الله ، فوجه البعض منهم إلى تونس و البعض الآخر إلى الميدان ، بينما وجه أبو القاسم لمواصلة الدراسة ، و حسب قراءته ، فقد احتمل سببين لذلك النجاح الدراسي الذي حققه أو لكونه معطوب اليد لكسر وقع له قبل التحاقه بالزيتونة سنة1947.

لقد مزج خلال مسيرته الدراسية بين طلب العلم و الجهاد، عن طريق نشاطه بالكلمة و القلم و انخراطه في التنظيمات الطلابية لجبهة التحرير الوطني، و كان له الفضل و الإسهام في التعريف بالقضية الجزائرية بين الشعوب و الأمم [2].

و لم يكتف بمزاولة الدراسة في دار العلوم فقط ، بل تمكن عن طريق الدراسة الحرة من الحصول على دبلوم الصحافة سنة1957 و حصل كذلك على شهادة في الرقن واشتغل في مكتبة وزارة الثقافة للحكومة الجزائية المؤقتة[3]، كما درس اللغة الفرنسية والانجليزية و الفارسية في جامعة القاهرة [4]. وأما اللغة الفرنسية و رغم سعيه لتعلمه لها في ثانوية الحرية بالقاهرة بعد 1956 إلا أن نتيجته لم تكن باهرة على حد قوله[5].

---

[1]– أبو القاسم سعد الله:**أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر،ج2**،عالم المعرفة للنشر و التوزيع، المحمدية، الجزائر،ط3، 2016 ص232

[2] - عمر فرحاني: " **أبو القاسم سعد الله شخصيته و مكانته العلمية** " ، أعمال الملتقى الدولي أبو القاسم سعد الله مؤرخا و مفكرا يومي 13و14 ديسمبر 2016، جامعة الوادي ، الجزائر، ص8

[3]– مراد وزناجي : المرجع السابق ، ص65–68

[4]– بوعزة بوضرساية: المرجع السابق ، ص 111

[5]– مراد وزناجي: المرجع نفسه ، ص192

و إلى جانب أنشطته الدراسية و الفكرية و الأدبية و المتمثلة في إصدار النصر للجزائر التي قدمه احمد توفيق المدني رئيس مكتب القاهرة لجبهة التحرير الوطني ، الذي يعد بادرة في مجال الفكر ، فإلى جانب ذلك فقد كان عضوا في فرع القاهرة لاتحاد الطلبة المسلمين الجزائيين الذي كان تحت إشراف جبهة التحرير الوطني أيضا ، إذ كلف بتمثيلها في عدة مؤتمرات ، منها المؤتمر التأسيسي العام للطلبة العرب و اتحاد طلبة فلسطين بالقاهرة سنة 1958 ، مما يدل على النشاط الثوري لأبي القاسم سعد الله.

لقد تخرج أبو القاسم سعد الله بشهادة الليسانس في اللغة العربية و العلوم الإسلامية سنة 1959 محتلا المرتبة الثانية في دفعته.و وجد نفسه أمام خيار صعب بخصوص التخصص هل يواصل في مجال الأدب أم التاريخ ، مع أن المجال الأول هو الأكثر ميلا له إليه من الثاني بالنظر إلى نشاطه الأدبي وقتئذ و الأعمال التي نشرتها له المجلات العربية[1].

و وجد نفسه أيضا بين شد و جذب ، أي بعد حصوله على شهادة الليسانس سنة1959 بين خيار العودة إلى الجزائر أو مواصلة الدراسة ، أو العمل في إحدى البلدان العربية على النحو الذي عمل به أقرانه وقتئذ ، و انتهى إلى قرار مواصلة الدراسة في الماجيستير، فسجل أولا في كلية دار العلوم ، تخصص أدبي ، و كانت الدراسة محددة بسنتين سنة للدراسة و الثانية للرسالة و المناقشة ، و التسجيل الثاني في معهد البحوث و الدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية ، الشعبة الأدبية و النقدية ، غيرأنه باشر دراسته في دار العلوم و تمكن من إنهاء الدراسة و الرسالة في السنة الأولى معا سنة 1960 [2].

و في الوقت الذي سجل في دار العلوم و معهد الجامعة العربية السالف الذكر ، تقدم أيضا بطلبين آخرين الأول إلى جبهة التحرير الوطني و الثاني للحكومة الجزائرية المؤقتة في سبتمبر 1960، أحدهما للعمل و آخر للدراسة ، فأما الأول فيتعلق بالوظائف التي كان يحصل عليها الطلبة الجزائريون الحاصلين على شهادة الليسانس في البلدان العربية بوساطة الجبهة و أما الثاني فقد تقدم به في سبتمبر 1960 للحكومة المؤقتة للحصول على المنحة لمواصلة الدراسة في أوروبا أو الو.م أ. و قبل مباشرة السنة الثانية في دار العلوم لتتمة مناقشة رسالة

[1]– بوعزة بوضرساية: المرجع السابق ص108–112

[2]– مراد وزناجي: المرجع السابق ، ص،ص 92–93

الماجيستير جاءه الرد بالقبول في أكتوبر 1960 لمواصلة الدراسة في الو.م. أ ، وحصل على جواز سفره التونسي لأن الو. م. أ لم تكن تعترف بالحكومة الجزائرية المؤقتة بتدخل و مساعدة الأمين العام للحكومة الجزائرية المؤقتة بلعيد عبد السلام.[1]

وبذلك قرر أبو القاسم سعد الله قطع داسته في مصر وعدم انتظار مناقشة رسالة الماجيستير التي أجراها حول شعر محمد العيد آل خليفة وتحت إشراف البشير الإبراهيمي، و رغم تمكنه من إنهائها في السنة الأولى سنة 1960 إلا أن القانون لم يكن يسمح له بالمناقشة إلا بعد إنهاء السنة الثانية ، و هذا ما حمله على ترك الرسالة مخطوطا الإبراهيمي طالبا منه كتابة التصدير و طباعتها[2].

[1]– مراد وزناجي: المرجع السابق، ص193

[2]– مراد وزناجي : المرجع نفسه ، ص،ص،92–94

المطلب الثالث: دراسته في الولايات المتحدة الأمريكية:

واستكمالا لإجراءات السفر إلى الو.م.أ أجرت له سفارة الأخيرة في تونس اختبار أولي حول اللغة الانجليزية ثم مقابلة لمعرفة غرض سفره إلى الو.م.أ ، و سلموه بعدها التأشيرة مقترحين عليه الجامعات الأمريكية و التخصص ذا الصلة بطلبه ، والمتمثلة في الدراسات الأمريكية الذي يشمل الأدب و الفلسفة و التاريخ، و انتهت بالتوقيع على جملة الالتزامات المتعلقة بها، و سافر إلى الو. م.أ يوم 30نوفمبر 1960 و نزل بنيويورك و منها أكمل الطريق إلى منيوستا[1]. و رغم دراسته للغة الانجليزية في مصر فبمجرد وصوله إلى الو. م.أ صادفته مشكلة اللغة إلا أنه قد تعلمها و أتقنها في ثلاثة أشهر و نصف [2].

وسجل في جامعة مينوستا في ربيع 1961 و بدأ العمل تحت إشراف د.هارولددويتش ذو الأصول الألمانية رئيس قسم التاريخ و أستاذ تاريخ أوروبا الحديث، وتحصل على شهادة الماجيستير في التاريخ والعلوم السياسية سنة 1962 وفي سنة 1965 تحصل على شهادة الدكتوراه في نفس التخصص[3] .و لم يكتف بتعلم وإتقان اللغة الانجليزية ، بل سعى و تمكن خلال دراسته في الو.م.أ من تعلم اللغتين الألمانية و الفرنسية في جامعة مينوستا ثم بباريس خاصة و أن محاولته تعلم الفرنسية في ثانوية الحرية بالقاهرة سنة 1956 عندما كان طالبا بمصر لم تؤت أكلها[4].

و على غرار نشاطاته المتعددة التي عرفها في مصر فإن إقامته بالو.م.أ قد سمحت له أيضا من النشاط في الأوساط الطلابية، إذ كان أحد أنشط الطلبة الجزائريين من خلال تنظيم الأسابيع المخصصة للتعريف بالثورة التحريرية الجزائرية، ومما لاحظه حينئذ و آلمه كثيرا تشرذم الطلبة الجزائريين في الو.م.أ و تفرقهم و عدم انسجامهم الفكري، و يرد ذلك إلى تباين

[1]– مراد وزناجي: المرجع السابق، ص،ص74–78

[2]– بوعزة بوضرساية : المرجع السابق ص،ص112–113

[3]– بوعزة بوضرساية: المرجع نفسه ص 113

[4]– مراد وزناجي: المرجع نفسه، ص192

مشاربهم و ثقافتهم على عكس طلبة البلدان الأخرى ، و مما وقف عليه أيضا درجة التقدم و التطور التي حققها الفرد الأمريكي و كذلك الوجه الآخر للصورة الإنسانية و الحياة والحضارة[1].

تشكل فترة دراسته بجامعة مينوستا 1960-1965 ثم التدريس في جامعة أوكليربالو.م.أ مرحلة جديدة من حياة أبي القاسم سعد الله تختلف عن مرحلة الدراسة السابقة بمصر إذ حصل على شهادتي الماجيستير والدكتوراه في التاريخ الأوروبي الحديث و المعاصر[2] و يعد أحد الجزائريين الأوائل الذين حصلوا على شهادة الدكتوراه في التاريخ[3].

ومن الأحداث الأشد إيلاما في حياة أبي القاسم سعد الله و التي تركت أثرا وجرحا غائرا في وجدانه، حادثة ضياع محفظته سنة 1988 ويعدها من الذكريات الأليمة، إذ تعتبر محفظته تلك خزانته الخاصة التي لا يضع فيها إلا ما هو ثمين عنده، من مخطوط أصلي و أوراق أصلية، و صور ، و يومياته العزيزة ، و وثائقه النادرة المصورة ، و ما احتوته أيضا من قراءاته لمشروع كتاب أو بحث[4].و أكثر هذه الوثائق الضائعة أهمية هي الفصول المكتوبة من أجزاء تاريخ الجزائر الثقافي في العهد الفرنسي التي كان ينوي استكمالها و إصدارها بحلول 1988و1989 [5]. لقد ضاعت له هذه الوثائق في لحظة زحام عندما كان يهم للخروج من مطار هيثرو بلندن ولقضاء ليلة في فندق المطار على أمل مواصلة السفر إلى الجزائر وهو عائد من الو.م.أ و من وطأة وشدة الحدث كتب كلمة تأبين و رثاء و حزن شديد نشرها في كتابه ، و قد بلغت درجة تأثره و حزنه لضياع المحفظة أن شعر بتجمد قريحته عدة سنوات إلى حد خشيته عليها بالشلل، و مما يدل على وقع الحادثة عليه أنه لم يستأنف الكتابة بالمعنى الحقيقي على حد تصريحه إلا سنة 1993 و ظل يأمل و لعدة سنوات في العثور عليها ، إلا أنه قد علم من الشرطة البريطانية وجهات أخرى لم يصرح بها أنه من غير الممكن استرجاعها حتى يئس من ذلك [6]. وقد عبر بأسى و مشبها طي الزمن للمحفظة كما يطوي البحر سفينة

---

[1]- بوعزة بوضرساية: المرجع السابق ص ،ص113-115

[2]- مراد وزناجي: المرجع السابق، ص113

[3]- مراد وزناجي: المرجع نفسه، ص19

[4]- مراد وزناجي: المرجع نفسه، ص194

[5]- أبوالقاسم سعد الله :**تاريخ الجزائر الثقافي** ،ج1، دار الغرب الإسلامي،بيروت ، لبنان ، ط1، 1998 ،ص10

[6]-مراد وزناجي : المرجع نفسه ، ص 194

تغرق. و من أجل إعادة كتابة الأجزاء الضائعة تحصل على منحة فولبرايت إلى الو.م.أ و تطلب منه ثلاث سنوات عمل متتالية لإعادة تسويد الكتاب، قال أنه كابد فيها مشقة كبيرة [1].

إن تأثير الأحداث على التطور الفكري و العلمي لأبي القاسم سعد الله تجلت في تحوره التدريجي من حقل الأدب إلى مجال التاريخ ، فبعدما كان مرتبطا بدراسة الأدب و معالجة قضاياه تحول إلى التاريخ و بحث ودراسة قضاياه، و تتمثل هذه الأحداث في ظروف دراسته بجامعة مينيوستا بالو.م.أ التي تزامنت مع تأجج ثورة التحرير الجزائرية خصوصا و التحرر العالمي عموما، و مما زاد في رسوخ اتجاهه لمعالجة القضايا التاريخية موضوع أطروحته الجامعية حول الحركة الوطنية الجزائرية، و كذلك علاقته بالوسط الجامعي كطالب ثم كأستاذ و الذي توج بعملين كبيرين تمثلا في الأطروحة التي ترجمت إلى اللغة العربية في ثلاثة أجزاء (1970/1969) و كتاب أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر في ثلاثة أجزاء في البداية(1990/1985/1978) و ما اشتملت عليه جميعا من مسائل فكرية و ثقافية.

وقد أدى تفاعله مع الظروف التي عاشها سواء السياسية منها أو الاجتماعية إلى حدوث تحولا عميقا في مواقفه و آراءه، و لكن دون أن ينسلخ عن جوهره و قناعاته، و يلاحظ تناسب في تغير أطوار حياته و مواقفه تلك، بانتقاله من الثقافة التقليدية التي تعتمد على التراث إلى التخصص المتجدد و الواسع الآفاق، و قد بدا ذلك جليا بعد التحاقه بالو.م.أ 1960.

وثمة من يفسر تشبثه بمبادئه وجدته باعتباره نتاج حركة الإصلاح التي صاغتها مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ثم صقلها جامع الزيتونة وطبعتها دار العلوم بالقاهرة ثم صاغتها الجامعة الأمريكية، إذ استمد قيمه من الحضارة العربية و الإسلامية ، ثم عرج على الآفاق الأنجلوسكسونية متجاوزا الإطار الفرانكفوني الذي يعد أقل رحابة وخصوبة و ثراء من الأول[2]. إن أبا القاسم سعد الله كان يكتب و ينتج بلغة القرآن الكريم مستوعبا دون استلاب و متواصلا متفتحا من غير انسلاخ في إطار التفاعل مع المحيط الخارجي أخذا و عطاء[3].

---

[1]– أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي ،ج1، المرجع السابق ، ص10

[2]– بوعزة بوضرساية : المرجع السابق ،ص،ص192–193

[3]– بوعزة بوضرساية:المرجع السابق ،ص،ص193

المطلب الأول: التخصصات و المهام البداغوجية:

يعد أبو القاسم سعد الله نموذجا حيا للطالب و الباحث الجزائري الذي تمكن بفضل اجتهاده و مثابرته في التعلم و طلب المعرفة من تجاوز الصعاب ، كلل بإنتاجه العلمي الغزير من جهة و الأدوار والوظائف والمهام العلمية والإدارية والبداغوجية التي تولاها من جهة ثانية [1].و قد وهب نفسه للعلم و الفكر و برزت عبقريته في إحياء التراث الوطني المخطوط و اشتغل على إبراز قيمة و أهمية الإنتاج الثقافي الجزائري انتهى إلى إنتاج فكري و ثقافي غزير[2]. و يعد من رجالات الفكر البارزين و من أعلام الإصلاح الاجتماعي و الديني .[3]

و يمكن التمييز بين منتجاته و أدواره على النحو الآتي:

1-<u>ذات الطابع العلمي</u> :

درس في جامعة ويسكنسن أوكلير بالو.م.أ كأستاذ مساعد في التاريخ(1967/1965) مما يدل على الكفاءة المشهود له بها قبل أن يغادرها عائدا إلى وطنه بدافع الالتزام و الولاء.و تولى مهمة الأستاذية بجامعة الجزائر منذ 1967 و التحق بجامعة آل البيت بالأردن مابين 1996 و2000. و انتسب للمجامع اللغوية العربية ، و أبرزها مجمع القاهرة ، فهو عضو فيه منذ 1989 ، و كذلك مجمع دمشق منذ1990 و أما الزيارات العلمية فقد زار جل الجامعات العربية و كذلك الجامعات الغربية بما فيها الأمريكية مابين 1970و2001 ، وبالنسبة للملتقيات فقد شارك في الكثير من الملتقيات و المؤتمرات و الندوات الإقليمية و الدولية بصفته باحثا أو محاضرا أو رئيسا للوفد أو ضيفا مابين 1974و2001 [4] .

---

[1]- بوعزة بوضرساية:المرجع السابق ص ،ص115-116

[2]-سعد طاعة: "**<u>مساهمة العلامة أبو القاسم سعد الله في تحقيق التراث التاريخي المخطوط من خلال بعض مقالات مجلة الثقافة</u>**"، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية و الاجتماعية ، المجلد 10 العدد 01 نجوان2019، ص25

[3]-عيفة الحاج: "**<u>السيرة الذاتية لشيخ المؤرخين الجزائريين الدكتور أبو القاسم سعد الله</u>**"،مجلة دراسات تاريخية، العدد04، ص11

[4]- بوعزة بوضرساية : المرجع نفسه ، ص ،ص115-121

و لم يكن حضوره في الملتقيات مجرد حضور، بل مساهما بالأعمال العلمية القيمة ، و التي تكلل بإصدارها في نشريات هذه الملتقيات و المؤتمرات و جعلت منه مؤرخا بارزا و من الطراز الأول ، تلهفت عليه الهيئات العلمية المختلفة من معاهد و جامعات و مراكز بحث طلبا لخدماته داخل و خارج الوطن ، عربيا و دوليا ، و أبرزها ملتقى حول نجم شمال إفريقيا في باريس سنة1997 ، و ملتقى حول الدولة العثمانية في جامعة آل البيت سنة1999 ، و ملتقى حول أدب السيرة و المذكرات بجامعة آل البيت سنة 1998 ، و الملتقى العلمي حول الحركة الثقافية و الفنية و الإبداعية في اليمن بتنظيم من جامعة آل البيت سنة2000، و الملتقى العلمي حول الحركة الثقافية و الفنية و الإبداعية في الجزائر أيضا بتنظيم من جامعة آل البيت سنة2001 ، و شارك أيضا في ملتقيات الفكر الإسلامي المنظمة من قبل وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف و وزارة المجاهدين مابين 1966 و 1968 ، و شارك في النشاطات الوطنية سنوات 1983 و 1986 و1987 و 1990[1].

2-<u>ذات الطابع الأكاديمي</u>:

إن أبو القاسم سعد الله أستاذ و دكتور و إداري و بداغوجي ، فهو مؤرخ بامتياز و في الوقت ذاته مؤطرا على مستوى الدراسات العليا تخرج على يديه عدة أجيال ، إذ اشرف على العديد من الرسائل الجامعية بلغ مجموعها اثنتا عشر رسالة، و منها رسائل الماجيستير التي جمع فيها بين التوجيه و المناقشة و رسائل الدكتوراه و دبلوم الدراسات المعمقة .

3-<u>ذات الطابع الإداري</u>:

و إلى جاب كونه مؤرخا محنكا من الطراز الأول ، فإن رصيده العلمي سمح له بتولي مهام إدارية عديدة ، و أبرزها تعيين وكيل كلية الآداب بجامعة الجزائر مابين 1968و 1978 و رئيس قسم التاريخ بكلية الآداب بجامعة الجزائر1969و1971 ، و رئيس المجلس العلمي لدائرة التاريخ ثم رئيسا للمجلس العلمي لمعهد التاريخ سنوات 1972 و1980 و1984 و1986 و 1992 ، و عضو المجلس الوطني للبحث العلمي سنة 1992 ، و عضو هيئة تحرير مجلة المنارة المحكمة بجامعة آل البيت سنة 1997 ، و عضو مجلس البحث العلمي لجامعة آل البيت ، و عضو اللجنة العلمية المشرفة على الكتاب المرجعي لتاريخ الأمة العربية التي أشرفت عليها اليونيسكو التابعة لجامعة الدول العربية [2].

---

[1] – بوعزة بوضرساية: المرجع السابق ص ،ص122-126

[2]– بوعزة بوضرساية ، المرجع نفسه ص ،ص127-128

المطلب الثاني:الإنتاج العلمي و الفكري:

تميز إنتاجه العلمي و الفكري بالغزاة و التنوع، وأبرزها في مجال تحقيق التراث كرحلة ابن حمادوش الجزائري و حكاية العشاق وتاريخ العدوانين، و في المجال التاريخي تاريخ الجزائر الثقافي، و أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر و الحركة الوطنية الجزائرية و محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، و في مجال الأعلام و الدراسات نجد كتابه شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة و دراسات في الأدب الجزائري الحديث ، و تجارب في الأدب و الرحلة ، و رائد التجديد الجزائري محمد العنابي ، و الطبيب الرحالة لابن حمادوش ، و شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون وأعيان عن من المشارقة و المغاربة [1]. و كذلك في مجال الإبداع و التأمل و الفكر نجد الزمن الأخضر ، و أفكار جامحة ، و هموم حضارية و خارج السرب ، و ثائر و حب و النص للجزائر ، و مسار القلم [2].

وإلى جانب المؤلفات السابقة أجرى ثلاثة وعشرين مقابلة من قبل مجلات و جرائد و بالنسبة للمقالات بلغت ثلاثة وسبعين مقالة ، فضلا عن البحوث المختلفة التي بلغت أربعة وثمانين بحثا، كما راجع اثنان و عشرون كتابا و صدر لثمانية عشر كتاب [3].

إن سرعة نفاذ طبعات مؤلفاته و تلقف القراء له يعكس مكانة المؤرخ في المجتمع عموما و لدى النخبة المثقفة خصوصا ، داخل و خارج الوطن ، و يؤكد أيضا الرغبة في التعرف على هذا المفكر الجليل و الوقوف على مِؤلفاته و تجاربه و نظرته للتاريخ [4].

لقد تلقى أبو القاسم سعد الله عروض عدة لتولي مناصب شتى،سياسية و إدارية، غير أنه اعتذر و اختلق الذرائع المقنعة للامتناع عن ذلك، استجابة لوصية والده الذي حثه و نصحه على ذلك و هذا بسبب ظلم و تعسف السلطة الفرنسية و خشية الوالد على طلبها توليته

[1]- بوعزة بوضرساية : المرجع السابق ص ،ص134-136

[2]- بوعزة بوضرساية: المرجع نفسه ص ،ص127-128

[3]- بوعزة بوضرساية: المرجع نفسه ص ،ص136-151

[4]- مراد وزناجي: المرجع السابق،ص،ص15-16

مسؤولية ما ، و كذلك الرغبة في التفرغ للبحث و الكتابة ، زيادة عن تأثره بمواقف بعض العلماء من السلاطين و تحذيرهم للعلماء من تولي الوظائف المرتبطة بالسلطة [1].

لقد تملكت أبو القاسم سعد الله إرادة كبيرة و آمال عريضة لإعادة قراءة و إثراء و صياغة محاضرات التدريس التي أنتجها في مختلف تخصصات التاريخ ، و تصنيفها و إعادة إخراجها في كتب ، بحيث يغطي كل كتاب موضوعا أو بلدا أو ظاهرة تاريخية ، لكن تعاقب السنين و تعدد الالتزامات ووقوع بعض المثبطات فضلا عن عجز الإنسان الطبيعي قد حال دون ذلك حسب تعبيره، و رغم عدم تحقق طموحاته تلك إلا أنه عبر عن إحساسه بالرضا و السعادة إزاء ما أنتجه [2].

و من الصفات التي اتسم بها عدم الاغترار ببهارج الألقاب التي أطلقت عليه مثل مؤرخ الأجيال و شيخ المؤرخين و قدوة الباحثين، إذ صرح قائلا "...هذه الألقاب أقدر عاليا من أطلقها إذا كان حسن النية... و لكني أعرف الناس بنفسي، و مهما كان الأمر فإن العالم الحقيقي لا يهتم بهذه الألقاب ... [3]"

لقد جمع أبو القاسم سعد الله بين الكثير من الخصائص و الاهتمامات، كونه مثقف و مناضل و كاتب و صحفي و شاعر و محقق و مترجم و ناقد و معلم و مصلح و رحالة وأفنى حياته كلها خدمة للوطن من خلال البحث العلمي، و رغم الكفاءات العلمية التي اكتسبها في مساره العلمي و حاجة البلاد إلى مثل هذه الكفاءات في مجال القيادة و التسيير إلا انه قد آثر البحث العلمي على المناصب الوزارية العديدة المعروضة عليه. وعرف بالمثابرة و الانضباط دون كلل و لا ملل رغم الارتباطات الكثيرة فلا يمر عليه يوم إلا و حاضر في جامعة أو ناقش في تخصص أو وجه طالب أو تنقل إلى ولاية أو مسافر إلى بلد لتقصي مسألة ما ، كما عرف أيضا بطباعه الهادئة و لسانه الفصيح ، لا يتكلم إلا في أم، و يرفض الأضواء و الظهور خوفا من تحريف وسائل الإعلام لكلامه أو تأويله ثابتا على مبادئه ملتزما الصحة و الدقة و الأمانة في كل ما كتب[4].

---

[1]- مراد وزناجي :المرجع السابق، ص،ص120-121

[2]- مراد وزناجي :المرجع نفسه، ص195

[3]-مراد وزناجي: المرجع نفسه ، ص117

[4]- مراد وزناجي: المرجع نفسه،ص،ص9-12

المطلب الأول : منهجه في كتابة التاريخ:

يعد أبو القاسم سعد الله عميد الكتابة التاريخية في الجزائر و العالم العربي و الإسلامي لغزارة وأهمية المنتوج التاريخي الذي أنتجه طيلة حياته تأليفا وتحقيقا و ترجمة، ودرس و حاضر في عدة جامعات في العالم و أمسى سفيرا للثقافة العربية و الإسلامية[1].

إن الشخصية العلمية لأبي القاسم سعد الله و ما تميزت به من عمق في البحث ومرونة في المعاملة و كذلك رسوخ مبادئه مع قدرته على التأقلم ، قد ميز مشوار حياته بالتطور سواء من حيث نوعية الاختصاص أو من حيث مواضيع الاهتمام. لقد جمع بين المجالين الأدبي و التاريخي، بحيث استهل مشواره العلمي بأعمال أدبية شتى، ثم عالج و عرض قضايا التاريخ الشائكة بجرأة متزنة و لغة صريحة و التزام.

و رغم تخصصه في التاريخ بعد1960 غير أنه لم يقطع ميوله الأدبية و نظرا للتداخل بين المجالين الأدبي و التاريخي فإن تبلور تخصصه التاريخي لم ينف خلفيته الأدبية، بل جعلته أكثر صلة بالأدب من خلال التاريخ و أكثر تفاعلا مع قضايا التاريخ من خلال النشاط الأدبي، و قد تناول الأعمال الأدبية لأعلام الجزائر في الفترة الحديثة بمنهج أكاديمي معمق و أبرز بعد التراثي و وجهها نحو الثقافة الموسوعية [2].

إن ازدواجية الاتجاه و التخصص و الجمع بين الأدب و التاريخ مع الالتزام بالمنهج الأكاديمي قد حال دون اكتفاء أبو القاسم سعد الله بسرد الأحداث التاريخية و استعراض الصور الأدبية أو التوقف عند حدود التراث و عرض قضايا التاريخ ، بل أكسباه نظرة أشمل، و لم يكن مجرد الكاتب أو المؤرخ المستوعب لفكر الآخرين و عرض إنتاجهم، بل سمح له ذلك لأن يكون مفكرا و صاحب رأي حر، و مثقف ملتزم بقضايا مجتمعه ، و كاتب واضح الانتماء[3].

---

[1]–محمد بليل : "**الكتابة التاريخية عند شيخ المؤرخين أبو القاسم سعد الله بين العاطفة الذاتية و الحقيقة التاريخية**"، مجلة عصور جديدة ، العدد 13، أفريل 2014،ص282

[2] – بوعزة بوضرساية :المرجع السابق ،ص،ص167–171

[3] – بوعزة بوضرساية: المرجع نفسه ،ص،ص192–193

إن ازدواجية التخصص لأبي القاسم سعد الله قد مكنته من رؤية فكرية لقضايا الأدب و التاريخ ، و الثقافة، و حملته على دراسة راهن الثقافة الجزائرية لغرض تأصيله و تنقيته لإبطال الأطروحات الرامية لسلب الهوية الوطنية و تشويهها [1].

و من مظاهر مرونة شخصيته و عدم تقوقعه على نفسه أو تحجره في مجال اختصاصه عدم الاقتناع بالنظرة الواحدة سواء لقضايا الأدب أو لمسائل التاريخ، ففي مجال الأدب لاحظ النقاد تدرجه من التقليدي المحافظ و تطوره إلى الغنائية العاطفية مرورا بالرومانسية النقدية ثم الواقعية وصولا إلى شعر المقاومة و الثورة ، و في مجال التاريخ فيلتمس في التطور في المعلومات و نوعيتها و كذلك طريقة معالجتها،و يظهر موقفه المحايد في مسائل الحركة الوطنية الجزائرية 1965 .

إن الجرأة و الشجاعة التي تميزت به آراءه و مواقفه في ظل لاتجاهات الفكرية المتضاربة تدل على مرونته و قابليته لإعادة فهم الأحداث و ضبط نظرته إلى المواقف ، و هو الأمر الذي يشكل العامل الأساسي في تشكيل البعد الإبداعي و كذلك ضبط الحكم التاريخي التقييمي. و يمكن أن نستنتج أيضا دور العلم و التجربة التي اكتسبها في جرأته و التزامه المنهجي دون تزمت أو انغلاق، مع تدرجه من الأحكام التي تميزت بالاحتشام والتردد في البداية إلى الإقبال على معالجة القضايا الثقافية ثم السياسية التي تختلج صدور المثقفين الجزائريين دون لف أو خوف.

و إلى جانب كونه أستاذ للتاريخ بالجامعة، فإن نشاطه العلمي من خلال البحوث الجادة و العديدة التي شارك بها في اللقاءات و المؤتمرات ، فضلا عن إشرافه و توجيهه لطلبة ما بعد التدرج، وتتبعه لمجريات الأحداث الوطنية و الدولية في مجال الدراسات التاريخية خصوصا، كل ذلك قد أسهم في ترسيخ منهجه و موقفه من قضية التاريخ الجزائري و التاريخ العربي و الإسلامي عموما ومكنته أيضا من عرض آرائه[2].

---

[1]–يعقوب قادة: "**تاريخ الأدب الجزائري و قضاياه عند أبو القاسم سعد الله من خلال كتابه تاريخ الجزائر الثقافي**"، مجلة معارف ، المجلد 17 ، العدد02، ديسمبر 2022، ص692

[2]– بوعزة بوضرساية: المرجع السابق،ص172–185

إن اضطلاعه بكتابة تاريخ الجزائر الثقافي أمر جليل تطلب منه جزء معتبرا من حياته و انشغالاته، وحملته على أن يصول ويجول في عدد من البلدان العربية و الغربية بحثا عن [1].

و مما تميزت به كتاباته الطابع الموسوعي، و يعلل ذلك بالرغبة في التوفيق بين خاصية العصر و هي السرعة ، و طبيعة الاختصاص و الفجوة التي تتخلل تاريخ الجزائر و الحاجة إلى سد الفراغ القائم، فضلا عن حقيقة تكامل العلوم الاجتماعية و الإنسانية و استحالة دراسة مجال دون المجالات الأخرى للترابط القائم بين مفاهيم هذه العلوم، تحمل المؤرخ على إدراك و استيعاب عصارة الفكر الإنساني و تجربة الإنسان الاقتصادية و الثقافية و العلمية و الصراع الحضاري عبر العصور [2].

و يرى أن معالجة تاريخ الجزائر الثقافي ليست مجرد كتابة ، بل هي رسالة لإثبات الوجود الثقافي للجزائر و تجذيره، خاصة و أن التاريخ الثقافي للجزائر لم يضبط بعد، و لم تحدد معالمه ، و لم تكشف قيمه ، و لم تحدد علاقة الجزائريين به بعد[3]. و عن مدى وجود مدرسة تاريخية للجزائر ، يرى أن إرهاصات المدرسة التاريخية الجزائرية تعود إلى بداية العشرينات من القرن المنصرم على يد الشيخ مبارك الميلي بكتابه تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ثم تلتها دراسات أخرى، علما أن تاريخ الجزائر القديم و الحديث كان محتكرا من قبل الفرنسيين ، و ردا على أقاويلهم بدأت بعض كتابات الجزائريين في الظهور ، قبل أن تتولاها و تتكفل به جامعة الجزائر بعج الاستقلال في إطار الدراسات و الكتابات الاكاديمية[4].

و من المؤرخين الجزائريين البارزين الذين يقاسمون أبو القاسم سعد الله مساعيه لكتابة التاريخ الوطني المجاهد و الأستاذ جمال قنان الذي يرى بدوره أن المدرسة التاريخية الفرنسية تسعى إلى تهميش المجتمع الجزائري و تحجيمه و تقليصه إلى أضيق مجال، و ليس فقط لفترة الاحتلال الفرنسي، بل مست جميع الحقب التاريخية، و يرد بالتأكيد هو الآخر على البعد

---

[1]– أبو القاسم سعد الله :**تاريخ الجزائر الثقافي**، ج1، المرجع السابق ،ص8

[2] - حمراوي حبيب شوقي: "**حصة حوار، مع المؤرخ أبو القاسم سعد الله**"، التلفزة العمومية الجزائرية ، بداية التسعينات(د.ذ.ت)

[3]– أبو القاسم سعد الله : المرجع نفسه ،ج1 ،ص، ص 22–25

[4] - حمراوي حبيب شوقي: "**حصة حوار، مع المؤرخ أبو القاسم سعد الله**"، المرجع نفسه(د.ذ.ت)

العربي و الإسلامي للإطار الحضاري للجزائر و دورها التاريخي في الصراع القائم بين العالمين الإسلامي و الغربي باعتبارها القلعة الأمامية للإسلام [1].

و يقر أن الثقافة كانت عربية إسلامية اشترك فيها كل الجزائريين من شمالها إلى جنوبها و من شرقها إلى غربها ، و بصرف النظر عن تقدمها أو انحطاطها فهي ماضي الجزائر الذي يستمد منه الجزائريون ذاتهم و حقيقتهم ، و يرى أنه من الواجب على الجزائريين الانتساب إلى هذه الثقافة و الاعتزاز بها ، لأنه لا وجود لشعب بدون ثقافة.

لقد استعمل أبو القاسم سعد الله في دراساته للجزائر في العهد العثماني التقويم الهجري إقرارا للتقويم الذي استعمله العلماء و الحكام في تلك الفترة ، و لكن الدافع الأكبر له هو إثبات عنصر من عناصر تراث الجزائر العربي الإسلامي ، و الاعتزاز به أسوة بالأجانب الذين يستخدمون تواريخهم في كتاباتهم توقيرا لتراثهم ، و لكن لتسهيل الأمر أرفق التقويم لميلادي إلى جنب الهجري.

و يرى أن عدم أخذه بنظرة التقديس للتراث أثناء معالجته للجزائر في العهد العثماني لا يعد انتقاصا له ، و لكنه خدمة للأجيال الصاعدة الراغبة في معرفة الحقيقة خاصة و أن الكثير مما تتضمنه هذا الكتابات مليء بالخرافة ، أو كتب لغرض مدح رجال ليسوا أهلا للمدح فضلا عن الأسلوب المنحط لبعض منها ، و كذلك غرض البعض الآخرين الذين كانوا ينشدون مصالحهم الخاصة. و يؤكد أيضا أنه لم يتحر في معالجته لتاريخ الجزائر الثقافي نظرة التقديس للتراث لأنه لم يكتبه إرضاء للعواطف الجهوية أو لدغدغة المشاعر الوطنية أو هدهدة النزعات الدينية[2].

و بالنسبة للتساؤل القائم بخصوص وحدة أو تنوع الثقافة في الجزائر، يرى أن الثقافة في الجزائر واحدة و لكنها متنوعة لرحابة مساحة البلاد و خصوصية كل منطقة ، و يتجلى ذلك في اللهجات القائمة بما فيها اللهجات العربية، ولم يمنع ذلك التباين من إحساس الجزائريين بأنهم جزائريون أي كانت المنطقة التي ينتمون إليها، و لتجاوز المساعي الاستعمارية السابقة

---

[1] - جمال قنان:**قضايا و دراسات في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر** ،منشورات المتحف الوطني للمجاهد،لاالمؤسسة الوطنية للاتصال و النشر و الاشهار، الرويبة، الجزائر ،1994،ص13

[2] – أبو القاسم سعد الله:**تاريخ الجزائر الثقافي** ،ج1،المرجع السابق ، ص،ص24– 27

و الحالية الرامية لضرب وحدة الهوية يدعو أبو القاسم سعد الله إلى توجيه و صب كل المساعي في بوتقة الثقافة الوطنية، فتمايز المناطق بعضها عن بعض سمة لم ينأ عنها أي بلد في العالم، وعلى هذا الأساس عمل على معالجة تاريخ الجزائر عبر مراحله المختلفة ، خاصة الفترة العثمانية منها [1].

لقد تطلبت عملية دراسة و معالجة تاريخ الجزائر الثقافي خمسة و عشرين سنة كاملة من جمع للمادة العلمية و تمحيص و مقارنة و دراسة و تحليل و صياغة ، وعلى سعة العمل و مداه التاريخي الواسع لم يدع أبو القاسم سعد الله الكمال و الإطلاق و أقر مسبقا باستعداده لتقبل النقد وتنقيحه كلما دعت الضرورة إلى ذلك.

و يرى أن من العوائق التي تحد و تمنع من المضي في سبيل كتابة وتجديد تاريخنا و من أبرزها ظاهرة الخوف من التاريخ و التمزق الثقافي و انعدام المركزية الواعية و غياب الحرية الفكرية و انعدام الرعاية المادية و المعنوية للباحثين ، و التقزيم و التمزيق الثقافي الذاتي، حتى في فترة ما بعد استقلال[2] .

و من أوجه إهمال التاريخ عدم قرع الجزائريين باب الماضي السحيق و عدم العودة إلى القرون الخوالي تاركين المجال للمؤرخين الأجانب لملء الفراغ و كتابة تاريخنا، أمثال سالوستيوس، و قزال، وغوتييه ، ومارسييه ، و دي غرامون ، و بوييه ، و جوليان ، و أجيرون وكورييه، و هنيري آليق، و وصفه بالفراغ المخيف، و من ثم يجب رفع التحدي لتبيان الصحيح من المشوه للأجيال، وهو التحدي الحضاري لمواجهة النفي الحضاري على حد تعبيره [3].

و قد اتسمت مسألة كتابة تاريخ الجزائر عموما من قبل الجزائريين بالقلة إلى درجة اشتكى المؤرخون الأجانب من ندرتها رغم أن تاريخ الجزائر واغل في القدم [4]. و من العوائق التي تحد من الإعمال الثقافي في الجزائر أيضا و التي اعتبرها حالة مرضية عزوف الجزائريين عن طباعة المخطوطات و دراستها و نشرها و ضعف حركة التأليف و تسجيل الآثار مقارنة

---

[1] - حمراوي حبيب شوقي: "**حصة حوار، مع المؤرخ أبو القاسم سعد الله**"، المرجع السابق

[2] – أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي** ، المرجع السابق ،ج4 ، ص،ص09-10

[3] – أبو القاسم سعد الله: المرجع نفسه، ج3،ص11

[4] - حمراوي حبيب شوقي: "**حصة حوار، مع المؤرخ أبو القاسم سعد الله**"، المرجع نفسه

بجهود الأجانب لترجمة التراث الجزائري ، ونظرا لقلة المهتمين بهذا المجال قام أبو القاسم سعد الله بمحاولة سد النقص بدراسة وتحقيق بعض مؤلفات هذه الفترة [1].

و رغم وجود المركزية السياسية الوطنية بعد الاستقلال فإن التمزق الثقافي لا يزال ضاربا الوحدة الفكرية بقوة ، فعلى غرار الاتجاه اللغوي غير السوي الذي اعتمدته السلطة العثمانية في الجزائر خلال القرون الثلاثة من العصر الحديث ، فإن السلطة الحاكمة في الجزائر بعد الاستقلال قد سارت على نحو مماثل باعتمادها على اللغتين العربية و الفرنسية ، و خطره في ترسيخ المجال التقليدي للغة العربية و هو حصرها في مجال التعليم ، و بالتالي ترسيخ الاتجاه التاريخي المختل سابقا وهو الانحصار في المجال الديني دون مجال العلوم العقلية (الدنيوية) و الإدارية التي وليت للغة الفرنسية[2]. و يرى أيضا أن هدف البحث هو خدمة الثقافة و ليس من أجل الجيوب و البطون ، و كذلك من أجل إنصاف المثقفين الأموات و بعث النخوة و الاعتزاز في المثقفين الأحياء[3].

لقد ساعدت الخلفية الأدبية لأبي القاسم سعد الله في كتاباته التاريخية على تعقب بنية المجتمع الجزائري و العناصر المؤثرة و المهيمنة عليه في الفترة العثمانية و بالأخص في الحقبة الاستعمارية من خلال قراءاته و تحليلاته للقصص الشعبي ، الذي يمثل في غالبه منتوج الأقدام السوداء ، و لعل ما وقف عليه من إسفاف المعمرين و بذاءة معاملاتهم للأهالي ما أسهم في بناء منظور و مفهوم الهوية و الشخصية الجزائرية لديه ، إذ تركت أثرا واضحا في وجدان باحثنا ، فمن خلال الدراسات و الأبحاث التي أجراها خاصة في الفترة الاستعمارية قد وقف على حجم العدوان الذي اقترفته سلطات الاحتلال و بالأخص الأقدام السوداء و ما أعملوه في مجال الأدب و الصحافة من تشويه و مسخ للشخصية الجزائرية ، و هذا ما يساعد على فهم و تفسير نظرة و مفهوم أبو القاسم سعد الله لمسألة اللغة و الهوية في الجزائر في ظل التهديد الذي مس من خلال هذه العناصر المجتمع الجزائري في أساسه[4] .

---

[1]– أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي**، المرجع السابق ،ج2 ، ص،ص 338–340

[2]– أبو القاسم سعد الله :**تاريخ الجزائر الثقافي** ،ج4 ، المرجع السابق ، ص09

[3]–أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي** ،المرجع نفسه ،ج 2، ص340

[4]– أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي** ،المرجع نفسه ،ج4، ص،ص66–67

ومما تميزت به كتاباته الحياد والموضوعية على الرغم مما يبدو عليه من ميول و قناعات قومية و إسلامية ، و يتجلى ذلك من خلال معرض حديثه حول إخفاقات الحركة الوطنية الجزائرية وكذلك كتاباته حول الثورة التحريرية.

و من بين ما تميزت به كتاباته إزاء الحكم العثماني في الجزائر عدم التطرق إليها في مؤلف واحد، و كذلك عدم الجزم في آرائه ، و التغير و التطور، بين الآراء التي أبداها في السبعينات و تلك التي أقرها لاحقا، بحيث أبدى سخطه على مؤسسة الانكشارية لعدم مسايرتها للتحديث الذي شهدته أوروبا حينئذ محملا إياها بسبب تدخلها في شؤون السياسة مسؤولية سيادة الإقطاع و ظلم الحكام و الجهل و التخلف العلمي الذي مهد الطريق للاحتلال الفرنسي كنتيجة لاختلال ميزان القوة الاقتصادية و العسكرية لصالح فرنسا و الغرب على حساب الدولة العثمانية و ولاياتها، و في الوقت ذاته يرد إليها الفضل في تحقق التجانس السياسي و الاجتماعي و الشعوري إبان الفترة العثمانية و تشكل نواة الدولة الجزائرية [1].

و على خلاف الذين يرون في موقفه هذا ازدواجية فإنه يبين موضوعيته و إقراره بالجانبين الإيجابي و السلبي للمؤسسة العسكرية. و على ضوء مبادئه المنهجية السالفة الذكر يرفض الرأي القائل بأن فترة الاحتلال الفرنسي هي امتداد للوجود العثماني لترفع العثمانيين عن اغتصاب أراضي الجزائريين و توطين الأتراك على الرغم من تنديده إزاء المساوئ الأخرى التي انطوت عليها فترة الحكم العثماني في الجزائر، و بالتالي تدل أرائه تلك على الأساس المنهجي الذي ارتآه لنفسه و هو الإنصاف و الالتزام بالموضوعية.

و يولي اعتبار بالغ لعملية تحقيق المخطوطات القديمة ، و يعتبره عمل فني و هادف في الوقت نفسه، و يتطلب منهجا و مهارة و إخلاصا و تجردا ، لكونها فكرة خلاقة تخدم المصلحة الوطنية و الإنسانية ، و المتمثلة في إحياء الموضوعات المنطوية في هذه المخطوطات و التي أعمل الاستعمار الفساد و الإتلاف الكثير فيها ، و بالتالي فنفض الغبار عنها و إبراز ما انطوت عليه من مظاهر الحياة ضرب من ضروب التحرر ذاته ، غير انه عمل يحتاج إلى يد مخلصة و قلم شريف و قلب مليء بحب الإنسان على حد تعبيره[2] .

---

[1]–أحمد بن يغزر: **فترة الحكم العثماني بالجزائر في كتابات أبي القاسم سعد الله** ، ص82–84

[2]–أبو القاسم سعد الله: **أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر** ، ج1، المرجع السابق،ص،ص357–358

إذا كان أبو القاسم سعد الله يرى أنه ثمة فرق بين الأتراك الأقحاح الذين اعتنقوا الإسلام عن عقيدة و دافعوا عن الحضارة العربية و الإسلامية و بين الذين تتركوا من شتى البلدان و اعتنقوا الإسلام لأجل المال و السلطة ، و من المغامرين و الجهلة و المتمردين، إلا أنه يرفض المؤيدين للعثمانيين في الجزائر و ينتصرون لهم باعتبارهم حكاما أتراكا مسلمين ليس إلا ، وحسبه لا يكفي للمرء أن يفعل ما يشاء لمجرد كونه مسلم ، و بالتالي يضع هؤلاء الحكام الظالمين و الجهلة و الذين يمجدونهم في نفس الخانة [1].

و يلاحظ من خلال ذلك مدى الموضوعية في مواقفه و رؤاه رغم ما يمكن أن يترتب عن أحكامه تلك من تحامل متزايد على الإسلام و الوحدة الإسلامية باسم ظلم و تعسف و فساد نظام الحكم العثماني.

و على الرغم من وقع المحيط الإيديولوجي و الاجتماعي و التكوين اللغوي و الثقافي على نفسية أبي القاسم عد الله، إلا أنه قد تميز بالحياد و الاستقلالية ، كونه رافضا للمركزية المشرقية مع عمله على إحياء الثقافة العربية في الجزائر، وحرصه على وحدة الوطن الجزائري و تاريخه[2] .

و على الرغم من الدرجة العلمية و المكانة والمستوى الذي بلغه أبو القاسم سعد الله في اللغة و الأسلوب و الموضوعية و الدقة في البحث و الاستقصاء ، إلا أن المتتبعين لدراساته و إنتاجه قد لاحظوا فجوة بينة في جانب التنظير المتصل بالمفاهيم التاريخية، أي غياب التحليل الفلسفي في أعماله، و لا يفسر ذلك بقصوره في تصوره للأحداث التاريخية، بل يعود إلى خلفيته الأدبية ، فرغم التزامه المنهجي فكرا و تدقيقا و تحليلا بالإضافة إلى واقعيته في معالجة المسائل ، و الروافد التي نهل منها ، إلا أن ذلك كله قد حال دون تشكل نظرة فلسفية قادرة على إعطاء نسق للأحداث ، و حالت دون تشكل المفهوم الذي يربط المواقف و الآراء الشخصية في الأعمال الأدبية و التاريخية.

---

[1]– أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي** ، ج1، المرجع السابق،ص14

[2]– جبران لعرج:"**تقييم المؤرخ أبو القاسم سعد الله لفترة الحكم العثماني في الجزائر**" ،مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية ، المجلد 07،العدد03،جامعة الشهيد محمد لخضر ،الوادي،ديسمبر 2021،ص،ص181–182

المطلب الأول : منطلقاته الفكرية:

يعد أبو القاسم سعد الله من أعلام الجزائر البارزين ، فهو الأديب المحافظ و الموسوعي، والمحقق المترجم، والمؤرخ الفذ المتحكم في عدة لغات أجنبية، والشاعر الناقد كان حضوره في كل المجالات المعرفية المختلفة ، وتعد موسوعة تاريخ الجزائر الثقافي من أكبر و أهم انجازاته العلمية ، و من الدوافع التي حملته على بذل هذا الجهد الرد على ادعاءات الفرنسيين القائلة بافتقار الجزائر للماضي السياسي و الثقافي[1] .

يقر أبو القاسم سعد الله أنه كان جبهويا قبل أن تولد جبهة التحرير الوطني من وجهة النظر و التفكير الوطني لا السياسي، كونه لم يعتبر نفسه سياسيا أو حزبيا ، و مما يدل على توجهه الوطني و الثوري كتاباته و أشعاره الأولى التي ألفها قبل 1954 و بعدها.

و من الشواهد التي ساقها بنفسه أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و جريدتها البصائر قد امتنعت عن نشر بعض قصائده لما تضمنته من مفردات و عبارات و معاني تصب في فكرة الثورة المسلحة ، وقبلت أحيانا مع قيامها بتغيير بعض هذه المفردات ، و هذا سنة 1955، كما يؤكد أنه عندما كان في مدينة الجزائر سنة1955 لم يكن يحمل عضوية لا الجمعية و لا جبهة التحرير الوطني ، و إن لم يكن منستبا للجبهة رسميا سنة 1955 لكنه كان حينئذ مندمجا في تيارها ، و عندما ذهب إلى مصر أصبح وجوده تلقائيا في الجبهة لعضويته في رابطة الطلبة الجزائريين التابعة رسميا للجبهة ثم فرعا في اتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين[2].

و يقر أيضا بالاتجاهات الثلاثة التي أثرت عليه أثناء دراسته في تونس، و المتمثلة في التربية الدينية و الأخلاقية التي تلقاها بالزيتونة، و مشاركته في نشاط الطلبة الجزائريين منذ

[1]–عائشة يطو: "**قراءة الدكتور أبي القاسم سعد الله للتراث اللغوي و الأدبي الجزائري من خلال موسوعته تاريخ الجزائر الثقافي**"،مجلة الحوار المتوسطي، المجلد 11، العدد03،ديسمبر 2020،ص،ص189–191

[2]– مراد وزناجي، المرجع السابق،ص،ص111–112

1948 و ما اكتسبه من قيم وطنية و ثورية، و كذلك قراءاته و مطالعاته للإنتاج العلمي لمنطقة الشرق العربي خصوصا المعروف بالغزارة و الغنى و التربية الأدبية التي كسبها[1] .

و إلى جانب القيم الوطنية و الدينية و القومية التي اكتسبها في تونس ، فإنه يقر أن فهمه لحقيقة الثورة الجزائرية و أهدافها لم يستوعبها بالشكل الواضح إلا بعد التحاقه بمصر سنة 1956 رغم مرور سنتين من عمرها و كذلك تعلقه بها منذ اندلاعها سنة1954 ، و لهذا تطوع في جيش التحري الوطني كعضو و مسؤول و اشتغل في مصالح جبهة التحرير الوطني، كما تبلورت في ذهنه خلالها القومية العربية[2].

و المتتبع لبواكير أعماله يلاحظ مدى تأثره بوضع البلد و موقفه إزاء الأحداث الجارية و المتمثلة في أحداث ثورة التحرير المضفرة، إذ بلغ عدد القصائد الشعرية التي كتبها مابين 1954 و1960 خمسة وعشرين قصيدة جمعها في ديوان "ثائر و حب" و التي صرح معلقا عليها بكون القصيدة و الكلمة تعبران بصدق و صلاحية لا تقلان عن صلاحية السلاح، أي أن كل ما كتبه في هذه القصائد بمثابة حرب أو عمل ثوري يخوضه ضد الاحتلال الغاشم على غرار ما يقوم به مجاهدو السلاح .

و عبر عن البواعث الحقيقة لجهوده تلك، و هي خدمة العلم و الحقيقة و التاريخ و الوطن، وقد تعلق أبو القاسم سعد الله بمجال البحث عن الآثار الأدبية و العلمية لعلماء الجزائر في جميع العصور ، هدفه الكشف عن مساهمة الجزائر في الثقافة العربية و الإسلامية و الإنسانية عبر العصور ونسف الأطروحات الاستعمارية الفرنسية الساعية لطمس الماضي السياسي و الثقافي للجزائر، زيادة عن غفلة الباحثين العرب و المسلمين و إهمالهم لتاريخ الجزائر، و اعتبر ذلك من ظلم ذوي القربى.

و من الدوافع التي حملته أيضا على معالجة تاريخ الجزائر الثقافي ككل، إلى جانب طبيعة الذين تصدروا العمل الثقافي في إطار الإصلاحات و النهضة الثقافية للجزائر بعد الاستقلال كانت من قبل المثقفين و المتخرجين من المدارس الفرنسية و الذين لا تربطهم

---

[1]–بوعزة بوضرساية : المرجع السابق ،ص108

[2] - رضوان شافو: "**عوامل التأثير الثقافي و الاجتماعي في تكوين شخصية أبي القاسم سعد الله**" ، الملتقى الدولي أبو القاسم سعد الله مؤرخا و مفكرا يومي 13و14 ديسمبر 2016، جامعة الوادي ، الجزائر ،ص30

بماضي الجزائر سوى الدين و بعض التقاليد الشعبية، والدافع الأهم هو أن جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مشروعها النهضوي الثقافي والوطني قد ركزت و اهتمت بتاريخ العرب و المسلمين عموما دون الاعتناء بتاريخ الجزائر الثقافي[1].

إن حرص أبو القاسم سعد الله على معالجته لتاريخ الجزائر الثقافي بذلك القدر من الحجم و ما تطلبه من التحليل و التوثيق قد دفع خصومه إلى التهجم عليه و اعتبار إنجازه هذا مجرد لغة الجيل الماضي.إن الأهم بالنسبة لأبي القاسم سعد الله هو موضوع المعالجة ذاتها والاختلاف الذي اشتمل عليه بخصوص مرحلة العهد العثماني مقارنة بما كان ذائعا من العقم و الفراغ الثقافي في هذه المرحلة، إذ بقدر ما يؤكد على مظاهر الركود و الوهن بقدر ما يبين الجوانب الحية التي ظلت جذوتها متقدة ، وما تنم عنه من معاني تجذر الشخصية الجزائرية[2].

و على ضوء ما سبق يمكن أن نستنتج البعد اللغوي و الاعتبارات التي يوليها لهذا الجانب في أبحاثه و الأهمية و القداسة التي يكنها للغة العربية ، وبالتالي مفهومه و نظرته لمقومات الهوية الجزائرية التي يرى في اللغة العربية إحدى أهم دعائمها.

إن بالعودة إلى تاريخ الجزائر يمكن الحسم في مسالة اللغة في الجزائر، إذ لم تكن ثمة مشكلة في هذا الجانب قبل 1830 بل ظهرت مع الاستعمار الفرنسي ، و بالتالي يرى بضرورة توخي الحذر للحيلولة دون الوقوع في أفخاخها و هو التشرذم ، و لحل المسألة يرى بوجوب العودة إلى أصلنا و وحدتنا لمعرفة من نكون، و يشكل ذلك إحدى دوافع اشتغاله على تاريخ الجزائر الثقافي[3] .

إن قراءة كتابات أبي القاسم سعد الله هي قراءة قضايا الذاكرة و الهوية، و محاولة استعادة الذاكرة الجماعية و التي تعد بدورها استعادة للتاريخ الوطني في ظل أزمة الهوية و ما تتعرض له من صدمات و ضغوط المجتمع، و بذلك ارتبط اسمه بالقضايا الوطنية الخطيرة

---

[1]– أبو القاسم سعد الله :**تاريخ الجزائر الثقافي** ، ج4، المرجع السابق ،ص،ص12–14

[2]– أبو القاسم سعد الله :**تاريخ الجزائر الثقافي، ج4**، المرجع نفسه ،ص11

[3] -حمراوي حبيب شوقي: "**حصة حوار، مع المؤرخ أبو القاسم سعد الله**"، المرجع السابق

مما يعكس حقيقة استيعابه لرسالة المؤرخ و المثقف وهي كيفية افتكاك تاريخ الجزائر من هيمنة المدرسة التاريخية الغربية و بالأخص الفرنسية [1] .

و من العوامل المؤثرة على نظرته للغة العربية مشكلة ضعف التحدث و التعامل بها فصحى و دارجة، و ما ترتب عن الحرب الثقافية التي خاضها الاحتلال الفرنسي لقلع اللغة و الدين و الثقافة من الجذور، بالإضافة إلى الآراء القائلة بأن عدم مسايرة الجزائر و غيرها من البلدان العربية و الإسلامية للإنتاج الفكري و الأدبي و العلمي و الفني العالمي سببه عقم اللغة العربية من خلال ضعف الإعمال الترجمي العربي، فتفنيدا لهذه الأطروحات يرد وضعية اللغة العربية و علاقتها بالمنتوج الأجنبي إلى العامل التاريخي و المتمثل في فقدان العالم الإسلامي لوحدته السياسية بعد العهدين العباسي و الفاطمي، فلولا ترجمة العرب للتراث الإغريقي الذي انبنت عليه النهضة الأدبية و العلمية الأوروبية الحديثة لما بقيت له قائمة، و على العكس من ذلك يرى في اللغة العربية العنصر الأساسي الذي يتوقف عليه وجود و بقاء الدين الإسلامي و ووحدة المسلمين، و هذا ما يفسر تقديسه للغة العربية و اعتبارها المقوم الأساسي للهوية الوطنية الجزائرية في إطار مفهوم الأمة العربية الإسلامية [2].

و تستند دراساته إلى الوثائق و المخطوطات، و هذا ما يفسر طابعه الأكاديمي، و يقر أنه ينطلق في أبحاثه في الأساس من نظرة شمولية للتاريخ العربي الإسلامي، و الربط بين تطور الأحداث و الأفكار في الجزائر بواقع الوطن العربي و أحداثه و أفكاره، و كذلك من دواعي ربطه الجزائر بالإطار العربي الإسلامي رغبته في تصحيح الوضع التاريخي الذي رسمه الاستعمار الأجنبي و الذي حاول المس بعروبة و إسلام الجزائر ، و تأكيد انتماء الجزائر للعالم العربي و الإسلامي [3].

إن الجزائر نقطة تفاعل مع الحضارات التي مرت بها و لها مساهمة فيها ، فالجزائر لها انتماء مشرقي و أوروبي و إفريقي، و لاحظ أن بعض المؤرخين خاصة المشرقيين قد ركزوا على العصر الروماني و البزنطي و الوندالي معتبرين ذلك دليلا على الانتماء الأوروبي للجزائر

---

[1] - محمد الأمين بلغيث: "**قراءة أولية في مذكرات شيخ المؤرخين الجزائريين أبو القاسم سعد الله**" ، الملتقى الدولي أبو القاسم سعد الله مؤرخا و مفكرا يومي 13و14 ديسمبر 2016، جامعة الوادي ، الجزائر ،ص،ص 21--24

[2]- مراد وزناجي : المرجع السابق ،ص،ص166-171

[3]- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي ،ج3**،المرجع السابق،ص،ص05-06

و يندرج ذلك حسبه في إطار رأي المدرسة المتوسطية، و التي يرى في اكتفائها على هذا الجانب بمثابة إلغاء للعناصر الأخرى المشكلة للبيئة الحضارية الجزائرية ، عربيا و إفريقيا[1].

و يعتبر جهوده في الكتابات التاريخية و إسهاماته المختلفة في مجال البحث العلمي بأشكاله المختلفة محاولة منه لخدمة تاريخ الجزائر و التاريخ العربي و الإسلامي عموما و أداء الرسالة التي وعاها في الحياة ، و هي خدمة الجزائر و الإسلام و العربية و المعرفة الإنسانية[2].

إن من بين العوامل الأكثر تأثيرا في شخصية أبي القاسم سعد الله و حملته على التأكيد على أصالة الشخصية الجزائرية و الروابط التي تشدها بالعرب و المسلمين على مر العصور و خاصة العصر الحديث منها، الأطروحات التي عرفتها الساحة الأدبية في الجزائر خلال الاحتلال الفرنسي و التي حزت كثيرا في نفسه و اعترض على صحتها من وجهة النظر الإثنية و التاريخية ، المفردات و العبارات التي انطوت عليها أدبيات الأقدام السوداء، و منها إشارتهم للأهالي بكلمة العرب، و كأن الأهالي ليسوا بشرا طالما أنهم عرب، وكذلك تقسيم السكان إلى عرب دخلاء و بربر من أصول سلتية لغرض التفرقة ، ومع ذلك ادعت النخبة الأوربية في الجزائر ممثلة في الأقدام السوداء أن الأهالي سواء كانوا عربا أو بربر اليست لديهم قابلية للاندماج و يمثلون شريحة لا سحنة و لا ملامح لها ، فهم مجرد حشد لا يرقون للتمتع بالحقوق المدنية[3].

لقد بلغت المفردات و العبارات المسيئة للأهالي قدرا من الكثرة حتى اعتبرها أبو القاسم سعد الله بمثابة جبل ثلجي، و تميزت بالتنوع حتى شملت الجوانب المختلفة من حياة الفرد بما فيها الحلاقة و طريقة مسح المرء أنفه أو غسل ثيابه، و بشكل أصبحت هذه المفردات تصب في معاني الانحطاط و الوحشية و القبح، و قد شملت كل فئات المجتمع ، ذكور و إناث فلازمة الشهوانية لدى الجنسين جعلت منهم عبيد لغرائزهم، و قد استخدم التعميم في المفردات الدالة على هذا الحكم بالنسبة للإنات حتى يخيل للمرء و كأن كل نساء الجزائر اللواتي

---

[1] - حمراوي حبيب شوقي: "**حصة حوار، مع المؤرخ أبو القاسم سعد الله**"، المرجع السابق

[2] – أبو القاسم سعد الله :**أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر** ،المرجع السابق، ج4،ص06

[3] – أبو القاسم سعد الله : **أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر** ،المرجع نفسه ،ج4 ،ص،ص58–59

يسمونهن بالفواطم (نسبة إلى فاطمة الزهراء بنت الرسول صلعم) مومسات، بل استخدموا كلمة الحوريات استخفافا بالمرأة الجزائرية و القرآن الكريم على السواء[1].

و تعكس هذه الأدبيات حجم الفجوة و المسافة الاجتماعية الفاصلة بين الدخلاء و الأهالي، كما تبين الهوة بين الثقافة الغربية و الثقافة الإسلامية[2].

و يمكن أن نستنتج على ضوء ما سبق وقع استكبار المعمرين و إهانتهم للأهالي في تعمق الفجوة الفكرية بين أبي القاسم سعد الله و الثقافة الغربية عموما و الفرنسية خصوصا و استحالة التمازج بين السكان الشرعيين في البلاد و المعمرين ، و تجذر البعد العربي و الإسلامي للهوية الجزائرية في منظوره، و بالتالي سعيه من خلال أبحاثه و دراساته تبيان أصالة المجتمع الجزائري و ثقافته العربية الإسلامية و الإقرار بالروابط التاريخية و الحضارية التي تشد الجزائريين بسائر البلاد العربية و الإسلامية بما فيها فترة الحكم العثماني في الجزائر.

و بالإضافة إلى الإساءة اللفظية فقد أمعنت الأقدام السوداء في عزل و تهميش الجزائريين من خلال رفضهم توليتهم الوظائف المختلفة كونهم من عرق جبل على الغباء و الغش و القذارة و اللصوصية و المكر و الجحود، و بناء على ذلك فلا تصح معاملتهم بالخير و لا يمكن تطويعهم على التعلم و الطاعة و التحضر إلا عن طريق الإهانة، و شكل ذلك دافعا قويا لأبي القاسم سعدالله للتنقيب عن جذور المجتمع الجزائري و مقومات هويته[3].

و في السياق ذاته، يرى أن التضارب القائم بين آراء المؤرخين الجزائريين الذين درسوا في المشرق و الذين درسوا في الغرب أمر طبيعي بسبب خصوصية الفترة التي قضوها في الدراسة بالخارج في الخمسينات و الستينات من القرن المنصرم، و في ظل تجربته الشخصية كونه درس في المشرق والغرب معا، ورغم الرصيد الفكري و العلمي المكتسب، إلا أنه بمجرد دخوله الجزائر يتملكه الشعور بالعمق الاجتماعي و الشعبي الذي ينتمي إليه ، و أن ما وقف عليه في الغرب مجرد أمور عرضية و سطحية، و يرى أن التزمت بالآراء والاعتداد بالقناعات و الأفكار المستوردة و نكران غيرها يعتبر على حد قوله من وجهة النظر الجزائرية استلابا ، و مسعى من

---

[1]– أبو القاسم سعد الله :المرجع نفسه، ج4،ص،ص78–85

[2]– أبو القاسم سعد الله ،: **أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر** ، ج4 ،المرجع السابق ،ص،ص61–64

[3]– أبو القاسم سعد الله : ، **أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر**، المرجع نفسه، ج4 ،ص،ص70–94

أجل تكييف البيئة الأم بالبيئات الأجنبية تحت تأثير الانبهار، و لهذا سعى من خلال كتابتاه تلك لتحصين الشباب و تربية النشء على قيم الوطن و الأصالة [1].

و من العوامل المؤثرة في شخصيته صدى المسعى الوحدوي للتيارات الإصلاحية و الاستقلالية في أقطار المغرب و المشرق العربي و أثره على نظرته و مفهومه للقومية و الهوية و اعتقاده أن ما يجري في الجزائر في الساحة السياسية و الثقافية هو امتداد لما يجري في بقية البلاد المغاربية والعربية، و بالتالي يعكس وحدة الفكر و المسعى أي الوحدة التاريخية و الحضارية للمنطقة، وهذا ما سيدفعه إلى الأخذ بالبعد المغاربي و العربي في تحليله لمجريات الأحداث في مختلف العهود التاريخية التي مرت بها الجزائر بما فيها خصوصا المرحلة العثمانية .

و لعل من أبرز الشخصيات النموذجية المرجعية في الساحة العربية و الإسلامية التي استقطبت أبي القاسم سعد الله و ألهمته و أثرت في أفكاره و حملته على تتبع أنشطته و أدواره و استيعاب مشروعه الكاتب و الأديب و الناشط اللبناني شكيب أرسلان ، و تكمن أهمية هذا الرجل في الجهود التي بذلها للتقريب بين رجال الإصلاح و أهل الطرق الصوفية من ناحية و بين جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و حزب النجم ثم حزب الشعب الجزائري من ناحية ثانية[2].ويرى في ذلك توافقا بين حركات التحرر العربية مع أفكار و أهداف التيارين الإصلاحي و الثوري في الجزائر، و تأكيده مرة أخرى على الوحدة الحضارية و الجغرافية للبلاد العربية و الإسلامية،. واعتبر الثورة التحريرية الجزائرية فداء للقضية العربية في الجزائر، و عندما ظهرت بوادر الحركة الوطنية الجزائرية بعد ح.ع.1 اعتبرها حركة ثقافية عربية تهدف إلى الحفاظ على الكيان العربي الإسلامي للجزائر[3].

و في هذا الإطار، ورغم ما يبدو في الظاهر من تأثره بالمرجعية الثقافية المشرقية غير أنه يرفض ذلك و يؤكد بتنوع قراءاته للثقافات المختلفة ، فقد قرأ للمعري و لرواد للمدرسة الوجودية كجون بول سارتر و ألبير كامي و كافكا، و في اللغة قرأ للحركة الرومانسية الفرنسية والألمانية، كما أعجب بالأدب الروسي البلشفي و القيصري على السواء، واطلع على الفرويدية

---

[1] - حمراوي حبيب شوقي: "**حصة حوار، مع المؤرخ أبو القاسم سعد الله**"، المرجع السابق

[2]– أبو القاسم سعد : **أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر** ،المرجع السابق ، ج4 ،ص،ص 126–129

[3]– أبو القاسم سعد الله : **أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر** ، المرجع نفسه، ج2، ص،ص230–231

إن إقراره بالقراءة للشرق و الغرب يبين أن الثقافة بالنسبة له مجال مفتوح و تفاعلي، و رغم كونه مثقف ثقافة كلاسيكية إلا انه أنه كان متفتحا على الإنتاج الفكري و العلمي و الأدبي الأوروبي و الغربي من العهد الإغريقي إلى الفترة المعاصرة، كل ذلك أكسبه المسار الفكري الإنساني[1].

و ظل وفيا لمسألة الذاكرة الوطنية طيلة حياته و يعد أحد أبرز الدعاة لعدم التسامح مع الجرائم المقترفة من قبل الاستعمار الفرنسي و الداعيين للمطالبة بالتعويض المعنوي و المادي عن كل الأضرار التي لحقت الجزائر من عمليات المسخ و التشويه الثقافي و الإبادة المنظمة[2].

و تميز أيضا بتحفظه من السلطة تماشيا و الاعتبارات الواجب مراعاتها بين المثقف و السلطة، أي بين المثقف و السياسي، فعلاقة المؤرخ بالحاكم سابقا لا تختلف عن علاقة الشعراء و المداحين بالحكام ، بينما دعا أبو القاسم سعد الله السلطة لتشكيل فرق علمية تضطلع وتتكفل بمشروع كتابة التاريخ الوطني، و بقدر ما يتحرى استقلالية المؤرخ عن الحاكم بقدر ما يرفض جعل المثقف و السياسي على طرفي نقيض و صراع [3].

و من القضايا التي عاش هواجسها طيلة حياته التهديدات التي طالت ثوابت الهوية الوطنية جراء الصراع بين حزب فرنسا و أصحاب الشرعية الثورية منذ الاستقلال و خاصة بعد 1978 ، ثم تهديدات النظام العالمي الأحادي القطبية بأبعاده الامبريالية و الصهيونية بعد 1989 إزاء مبادئ الثورة و الهوية و السيادة، بحيث يرى أبو القاسم سعد الله أن حزب فرنسا قد وجد ضالته في ظل الانفتاح المحتوم على الليبرالية لإجهاض مشروع الثورة التحريرية،فازداد نشاطه و برز إلى العلن و أخذت الكفة تتأرجح لصالح "الواصلين الجدد" [4].

و يعتبر بسبب منتوجه الغزير و كتابته باللغة العربية و منهجه التحليلي نموذج غير مرغوب فيه ، و لهذا بقدر ما يعتبر لدى البعض صورة متكاملة للمثقف الجزائري الأصيل ،يشكل لدى السلطة السياسية اليسارية الفرانكفونية نموذجا ثقافيا مزعجا للثقافة الرسمية . إن أبا القاسم سعد الله نموذج

---

[1] - حمراوي حبيب شوقي: "**حصة حوار، مع المؤرخ أبو القاسم سعد الله**"، المرجع السابق

[2] – أبو القاسم سعد الله : المرجع نفسه ،ج4 ،ص201

[3] - حمراوي حبيب شوقي: "**حصة حوار، مع المؤرخ أبو القاسم سعد الله**"، المرجع نفسه

[4] – أبو القاسم سعد الله : **أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر** ، المرجع السابق ،ج4،ص،ص15-21

للمثقف الذي واجه المد المعاكس للثقافة الوطنية و تمكنه من تحديه، و ما تطلبه ذلك من إحباط على واقع الثقافة الجزائرية و آمال الغد الواعد[1].

توفي أبو القاسم سعد الله يوم السبت 14ديسمبر2013 عن عمر ناهز ثلاثة و ثمانين سنة بالمستشفى العسكري بعين النعجة، و لم يمنعه مرضه من إتمام صوم شهر رمضان رغم تحذير الأطباء له[2].

[1]- بوعزة بوضرساية :المرجع السابق،ص،ص192-195

[2]-عبد الرزاق هزبري:"**أبو القاسم سعد الله و تأريخه للشخصيات العلمية و الدينية من خلال مراسلاته مع سعد لعمامرة ضمن كتاب علاقتي بالدكتور أبي القاسم سعد الله من خلال مراسلات حول تاريخ أخبار وادي سوف**"،مجلة الدراسات التاريخية،المجلد23،السنة2022،ص179

إن تتبع نظرة أبي القاسم سعد الله و تحليله لتاريخ الجزائر في العهد العثماني مرهون بمدى الإلمام بالظروف التي أحاطت بفترة ميلاده و نشأته و طبيعة المعارف و القيم التي اكتسبها في مسيرته الدراسية و العلمية و المهنية ، و المتمثلة في ظروف الضيق الاقتصادي و السياسي و الاجتماعي الناجم عن سياسة الاحتلال الفرنسي على المستوى الداخلي من جهة وطبيعة التكوين و التعليم الذي تلقه أثناء دراسته في تونس ثم مصر و أخيرا في الولايات المتحدة الأمريكية من جهة ثانية، التي صادفت أحداث و تحولات عنيفة في مجريات الحياة المحلية والدولية ، بحيث أثر كل ذلك في صقل شخصيته ، و وقف خلالها على واقع الجزائر و سائر البلاد العربية و الإسلامية خصوصا و بلدان العالم عموما، فارتسمت ملامحه الفكرية الأولية و تحددت اتجاهاته ، و تبلورت رؤيته للمسائل المتعلقة بتاريخ الجزائر و بالأخص المرحلة العثمانية.

و بناء على أسباب و نتائج الأحداث التاريخية التي انطوت عليها الحقبة العثمانية في الجزائر سعى من خلال كتاباته معالجة مسألة الهوية الجزائرية و تبيان مقومات الثقافة الجزائرية و مظاهر تمسك الجزائريين بشخصيتهم و دفاعهم عنها، مؤكدا على البعد العربي و الإسلامي للثقافة الجزائرية رافضا أطروحات المؤرخين الاستعماريين والمستشرقين الذين ينفون الجذور التاريخية للشخصية الجزائرية.

و رغم المنطلقات الدينية و القومية لأفكار ومواقف أبو القاسم سعد الله إلا أنه لم يحد عن الموضوعية و الأمانة العلمية ، إذا تطرق بكل حياد و نزاهة لكل قضايا الجزائر في العهد العثماني مشيدا بالجوانب الايجابية للحكم العثماني في الجزائر مع انتقاداته اللاذعة للفجوات المختلفة التي انطوت عليها المرحلة محملا المسؤولية التاريخية للسلطة الحاكمة إزاء مظاهر الفساد و الضعف التي مست مختلف ميادين الحياة دون تردد.

الفصل الثاني: مسائل الحكم العثماني في كتابات أبي القاسم سعد الله

تمهيد:

لقد تساءل الكثير من المؤرخين حول حقيقة موقف أبي القاسم سعد الله وطبيعة نظرته للجزائر في العهد العثماني، غير أن المتتبع لكتاباته التاريخية يرى انعكاس ممارسات و خصائص السلطة الحاكمة ذاتها على وجهات نظره ، و التي تتميز بالتباين و التناقض في الظاهر و الانسجام و التكامل في الواقع .

و بناء على جملة القواعد المنهجية و الظروف و العوامل المتحكمة في منطلقاته الفكرية التي قامت عليها دراساته فقد قام بمسح الفترة العثمانية من كل الجوانب السياسية و العسكرية و الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية ، و قلب مختلف أوجه هذه الفترة ملتزما بالأمانة العلمية و محاولا الرد على الأطروحات الغربية و الإستشراقية الرامية لطمس مقومات الهوية الجزائرية في العهد العثماني من خلال تناولهم للجوانب السلبية لسياسة السلطة العثمانية و تداعياتها دون إقراراهم بأدوارها الإيجابية، و رغم أن كتابات هؤلاء لما تميزت به من ذاتية كانت تقتضي بروز مؤرخين إيديولوجين متعصبين إلا أنه و على خلاف ذلك تميزت معالجة أبي القاسم سعد الله لهذه المسائل بالتزامه بمبادئ المؤرخ المحايد و الكاتب الناقد و المحلل الموضوعي ، و هذا بتطرقه لكل الفجوات و الاختلالات التي انطوت عليها الحقبة الحديثة مبينا مواطن الفساد دون تردد ، مع تأكيد فضل السلطة العثمانية في الجزائر في حماية البلد من المد الاستعماري الإسباني خصوصا ، و كذلك تأكيد أوجه الصلة بين الجزائر و سائر البلاد الإسلامية المنظوية تحت الخلافة العثمانية و حقيقة الوحدة الحضارية للعالم الإسلامي.

المطلب الأول: طبيعة نظام الحكم العثماني في الجزائر:

لقد كانت لدعاوي و آراء المؤرخين الفرنسيين السلبية إزاء تاريخ الجزائر خصوصا و العرب و المسلمين عموما أثرا و وقعا شديد على أبي القاسم سعد الله ، لما اشتملت عليه من مظاهر الجحود و النكران للحقيقة التاريخية ، و التي ترتكز على التشكيك في صحة المصادر المحلية في العهود المختلفة،خاصة فترة الحكم العثماني في الجزائر منها، و الداعية إلى الاعتماد فقط على المصادر الأوروبية و وثائق الأرشيف الرسمية و التجارية و كذلك الرحالةالأوروبيين.

و مع ذلك قام المؤرخون الفرنسيون بترجمة عدد هام من المخطوطات النفيسة المتعلقة بالفترة العثمانية إلى اللغة الفرنسية ، و عنوا بدرجة أكبر بالطرق الصوفية و برجالها و كذلك كتب الفقه و الأصول باعتبارها مرآة عاكسة لتفكير الأهالي، و انتهوا من خلالها إلى صياغة مفاهيم و مفردات جديدة" الإسلام الجزائري" و "الإسلام الجزائري الجديد" يتهمون عبرها الجزائريون كونهم مسلمين بالوراثة، لا بالوعي و الاعتقاد،و هي محاولة بذاتها لتجريد الجزائريين و سلبهم دينهم أحد أهم مقومات شخصيتهم الوطنية.

و بالإضافة إلى عامل الحكم المسبق الذي سارت عليه الدراسات الفرنسية، فمما زاده إيلاما هو أن الذين تولوا أعمال الترجمة تلك عسكريون لا يفقهون و لا يتقنون اللغة العربية و عندما ظهر المؤرخون المتخصصون استندوا إلى تلك الدراسات[1].

و من ببين أبرز رواد المدرسة الاستعمارية الفرنسية ش.أ.جوليان الذي يقول أن الجزائريين مخلوقين للاستعمار، و أن الوجود الفرنسي في الجزائر مجرد حلقة من سلسلة الاستعمارات السابقة ، و من بينها الاحتلال العربي و الاحتلال التركي ، و الغرض من هذا القول هو تبرير الاحتلال الفرنسي و القول الثاني لغرض فصل الجزائر عن الحضارة العربية

[1]– أبو القاسم سعد الله :**أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر** ، ج1، المرجع السابق ،ص،ص27–31

الإسلامية ، و إزاء هذا الطرح تبرز نظرة أبو القاسم سعد الله الذي ينبه إلى ضرورة التمييز بين الإقرار بحقيقة السلبيات و المساوئ التي تخللت فترة الحكم العثماني في الجزائر ، و بين الأحكام العامة التي تلغي الحقائق و الإيجابيات الأخرى.

و إحقاقا للحق يذكر أبو القاسم سعد الله أن الجزائريين هم أنفسهم الذين استنجدوا بالعثمانيين في بداية القرن16 و طلبهم التحالف معهم لطرد الغزاة الإسبان ، و بالتالي يؤكد الروابط الحضارية التي تشد الجزائريين بالعثمانيين و المتمثلة في رسالة الدين الإسلامي، و أن نزول الأسطول العثماني في الجزائر غرضه إنقاذ جزء من العالم الإسلامي كان مهددا بالخطر بينما كان نزول الأسطول الفرنسي في سيدي فرج تجسيدا لمشروع الاحتلال الذي راود الفرنسيين منذ لويس 14 في أوائل القرن 17 و تجسيدا لعدة محاولات غزو سابقة[1].

و ردا على الأطروحات الغربية و الفرنسية خصوصا و إقرارا بالحقيقة التاريخية سعى أبو القاسم سعد الله لتقصي المسائل المطروحة في هذا المجال و تبيان أوجه الصحة من الخطأ و من بينها مسألة نظام الحكم القائم ، غير أنه اشتكى من قلة الأخبار التي تتحدث عن سير حكام الجزائر خلال العهد العثماني ، و لم يظفر بالكتابة من قبل المعاصرين إلا القليل منهم.

و من النماذج الحية التي تعكس طبيعة الوضع السياسي القائم في إحدى مراحل الحكم العثماني الداي شعبان باشا ، الذي تولى الحكم سنة 1789 و تكمن أهمية هذا النموذج في نظره في كونه جمع بين الأضداد، أي صفات الخير و الشر معا[2] .

و من المسائل غير المتفق عليها مسألة الفترة العثمانية في الجزائر، عما إذا كان ذلك تواجدا أم احتلال، و حسب أبو القاسم سعد الله فإن الموقف يختلف حسب اختلاف زاوية الطرح ففي عصر الحروب الدينية هو فتح،و في عصر العدوان على الشعوب الإسلامية في حالة ضعفها و تنازعها هو تدخل، و في عصر القوميات هو احتلال.و بالنسبة للجزائر فهو ليس تواجدا و لا دخولا ، لأن فترة الحكم العثماني في الجزائر دامت أكثر من ثلاثة قرون من الزمن ينما يفيد التواجد معنى المؤقت، زيادة عن ذلك فإن هذا التواجد يعبر عن التحالف الذي ربط

[1] – بوعزة بوضرساية : المرجع السابق ، ص84

[2]– أبو القاسم سعد الله :**أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر** ، ج2، المرجع السابق،ص322

الجزائريين مع العثمانيين ضد التهديد و التوسع و الغزو الإسباني بعد سقوط الأندلس سنة1492 و مهما كانت إيجابية هذه العلاقة فإنه لا يبرر الظلم و الفساد و الاستبداد و التمييز بين السكان و خرق تعاليم الإسلام [1].

و بغض النظر عما إذا كان الوجود العثماني في الجزائر إنقاذ أو احتلال، فإن الخاصية الغالبة عليه هي كونه كان وجودا سياسيا و عسكريا، و لم يكن وجودا حضاريا. إن ارتكاز الوجود العثماني في الجزائر على القاعدة البحرية و الإدارية جعل لهذا الوجود طابع مميز من نظم و تقاليد محددة في الجيش و الحكومة و الضرائب و غيرها ، و مقابل ذلك لم يكن لهذا الوجود أي اثر حضاري من آداب و دين و تعليم و فنون[2].

و لم يتفق المؤرخون حسب تقديره على نوع الحكم الذي كان قائما في الجزائر، بين القائل بأنه حكم جمهوري أو عسكري ، و ثمة من اعتبره ملكي[3] . و لم يحل الحكم العثماني في كل أطراف البلاد دفعة واحدة، بل جاء على عدة مراحل و استغرق مدة زمنية معتبرة لكي يمتد و يرسخ، و بعد رسوخه و شموله أرجاء البلاد فإن درجة التغلغل و التأثير كانت متفاوتة من مكان إلى آخر، بحيث ارتكز في البداية على السواحل لصد التهديدات الاسبانية خصوصا و الأوروبية عموما ، و مما أثر على توسعه طبيعة البلاد المترامية الأطراف و الوعرة التضاريس، و كذلك قلة العثمانيين الذين توافدوا على البلاد[4].

تتشكل الحكومة في الجزائر في العهد العثماني من عدة وزارات،البحرية والشؤون الخارجية و وزارة الحرب ، و وزارة المالية و الداخلية ، و وزارة الأوقاف و البريد ، و يتولى الوزراء المعينين مهامهم تحت سلطة الداي ، الذي ينتخب من قبل الديوان، ويتولى الداي أيضا تعيين

---

[1]– مراد وزناجي : المرجع السابق ، ص ،ص125–126

[2]– أبو القاسم سعد الله :**أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر**، المرجع السابق، ج3،ص195

[3]– أبو القاسم سعد الله : **أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر** ، المرجع نفسه ، ج2،ص245

[4]– أبو القاسم سعد الله : **أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر** ، المرجع نفسه، ج5 ،ص،ص171–172

ولاة الأقاليم الثلاثة قسنطينة و وهران و التيطري، و إلى جانب الوزارات الأساسية السابقة هناك وزارات أقل أهمية منها القضاء، و الإفتاء، و مندوبيات مختلف النواحي .[1]

لقد انحصرت السلطة بالجزائر في العهد العثماني في أيادي الأتراك من أعلى منصب و هو الداي إلى أدناها و هو الجندي ، و رغم الإجحاف و الظلم و الفساد الذي تخلل هذا النظام إلا أن الجزائريين ظلوا ينظرون إلى هؤلاء على أنهم منقذيهم من التهديد و الخطر الأوروبي مستشعرين أيضا بالالتزامات الدينية لهم باعتبارهم يمثلون الخلافة العثمانية الإسلامية.

و يرى أن التخلف السياسي الذي عرفته الجزائر في العهد العثماني هو امتداد للتخلف السياسي الذي عرفه المشرق العربي والذي قوض أركان الخلافة الإسلامية في العصرين الوسيط و الحديث، و بالتالي فالجزائر باعتبارها جزء من العالم العربي و الإسلامي لم تكن لتنأى عن هذه المؤثرات السلبية المحتومة.

و من مظاهر التفلت السياسي للجزائر في العهد العثماني إهمال الحكام مصالح الرعية و جنوح الأخيرة التدبير شؤونها و حماية نفسها و توفر متطلبات معيشتها بنفسها ، و عرفت البلاد أيضا ظاهرة اعتداء القبائل بعضها ضد بعض ، و فسدت الجيوش التي تحولت إلى مجرد جماعات مرتزقة تعمل لصالح هذا الحاكم أو ذاك، و عملها لغرض العيش و السمنة و لم يعد يأبه و يتوق للشهادة و الخلود و المجد ، و مما ترتب عن فساد الجيش إهمال الأرض و الزراعة و الصناعة و منه الفساد و التخلف الاقتصادي.

إن التخلف الثقافي للجزائر سببه التخلف السياسي،بحيث اتسم الحكام بالجهل و الاستبداد و الأنانية، و لم يكونوا في مستوى الرسالة الدينية و الدنيوية التي اضطلعوا بها،و لم يؤدوا واجباتهم،و على العكس من ذلك تنازعوا فيما بينهم و أفسدوا طاقاتهم في محاربة بعضهم البعض عوض العمل على مواجهة أعداء حضارتهم[2].

---

[1]– أبو القاسم سعد الله :**أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر** ، ج2، المرجع السابق،ص،ص245–246

[2]– أبو القاسم سعد الله : **أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر** ، المرجع السابق ، ج3 ،ص،ص185–186

و من الظواهر التي انتشرت في الجزائر خلال العهد العثماني ظاهرة شراء الوظائف و التي مست في البداية الباشوات و خلفائهم ثم امتدت لتشمل القضاة و رجال الدين. ومما تميز به هؤلاء الموظفون هو قصر مدة توليهم هذه الوظائف ، و رغم ما تدره من ثروة سريعة غير أن همهم الأكبر كان جمع أكبر قدر من الثروة لتعويض ما دفعوه من أثمان في استانبول لشراء هذه الوظائف [1].

إن اضطراب أوضاع الجزائر السياسية خلال القرن 15 قدأدى إلى هجرة علماء الجزائر والذين بقوا في البلاد لم يلقوا الاهتمام و الرعاية من قبل الحكام ، و قد ازداد الوضع سوءا في العهد العثماني [2].

و يتجلى من خلال الشعر الذي أقرضه المانجلاتي مخاطبا شيخ الإسلام في استانبول أسعد أفندي تدهور حال السكان و خيبة أملهم في كل الحكام الذين ولوا عليهم لما عرفوه من مكر و فساد،وما ترتب عنه من كثرة الفتن و الثورات و الصراع على السلطة و عدم الاكتراث بحاجيات السكان على مر و تعاقب الحكام [3].

و لاحظ أيضا أن تواجد العثمانيين في الجزائر كان بتعداد ضئيل، و أكثرهم كانوا بحارة أو أفراد الجنود المتواجدين في الثكنات، و منهم تشكلت الحاميات في مختلف المدن أو القلاع بين المدن و الأرياف أو بالقرب من الحدود مع البلدان المجاورة .

و نظرا لعدم كفاية تعداد الأتراك العثمانيين في الجزائر للحفاظ على النظام و توفير الأمن و جباية الضرائب و معاقبة المتمردين لجأت السلطة العثمانية إلى جلب المتطوعين من الأناضول و كذلك الأعلاج ، غير أن المصدر الحقيقي للقوة التي اعتمدت عليها هي إعفاء بعض القبائل من الالتزامات الضريبية و إبقائها على أرضها نظير التزامات عسكرية و هي تولي قمع القبائل الممتنعة أو الثائرة [4].

---

[1]– أبو القاسم سعد الله : **أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر** ، المرجع السابق ج3،ص196

[2]– أبو القاسم سعد الله : **أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر** ،المرجع نفسه ،ج3،ص186

[3]– أبو القاسم سعد الله : **أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر** ،المرجع نفسه ،ج3،،ص،ص203–206

[4]– أبو القاسم سعد الله :**أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر** ، المرجع نفسه ،ج5،ص181

إن اعتماد السلطة العثمانية هذه السياسة المتمثل في إشراك الأهالي و قبائل المخزن في المهام العسكرية إلى جانب الأوجاق قد أضفى الطابع العسكري على الحكم العثماني في الجزائر على حساب الحكم المدني، و من نتائجه أن أصبحت مؤسسات التعليم قطاعا ثانويا بالنسبة للمؤسسات العسكرية [1].

و بصرف النظر عن أصول الحكام العثمانيين في الجزائر كونهم من أصول مختلفة تركية ، و يونانية ، و ألبانية ، و إيطالية، و لهذا يعرفون بالأعلاج فإن أهم ما ينبغي اعتباره في هذا الإطار ليس أصولهم ، بل سماتهم و طباعهم، فهم مجرد مغامرين هدفهم الأساسي من تولي السلطة جمع المال و التسلط، بالإضافة إلى طبيعة حكمهم الذي كان استبداديا ، لا يتوانون و لا يتورعون في سلب أموال الجزائريين و ثرواتهم عن طريق الضرائب و الرشا و الهدايا و غيرها، و الاستحواذ على الأوقاف و أموال العجزة و اليتامى [2].

و إلى جانب المفاسد السابقةاتصف نظام الحكم بتهميش الجزائريين و إبعادهم عن العمل و المسؤوليات السياسية ، نظير استئثار اليهود و تمكينهم من الاقتصاد الجزائري و تفضيل المرأة المسيحية على المرأة الجزائرية المسلمة ، و كذلك عدم التكلم بلغة الجزائريين و عدم استعمالها في الإدارة إلا بشكل قليل ، و التمييز بين المسلم العثماني و المسلم الجزائري في تطبيق أحكام الشريعة.

و رغبة في تعميم سطلتها في الأقاليم دعمت السلطة الحاكمة الطرق الصوفية رغم الانحراف و الفساد،[3].سمح لها بلوغ درجة من السيطرة و التأثير في المجتمع و الدولة معا، مس حتى الحكام و الولاة الذين لم يجدوا بدا من التقرب منهم و استعطافهم "...بوقف الأوقاف عليهم و إعفائهم من الضرائب و بناء القباب لهم و التبرك بهم و أخذ العهد منهم و نحو ذلك..."[4]إلا

---

[1]– أبو القاسم سعد الله : **أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر**، المرجع السابق، ج3،،ص181

[2]– أبو القاسم سعد الله :**تاريخ الجزائر الثقافي** ، ج1، المرجع السابق، ص،ص14–15

[3]– أبو القاسم سعد الله :**أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر** ، المرجع السابق ، ج5، ص185

[4]– أبو القاسم سعد الله : **أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر** ، المرجع نفسه، ج1،ص21

أنها تعاملت بحزم و شدة ضد الطرق الصوفية التي ثارت ضدها و واجهتها بيد من حديد خاصة تلك المدفوعة من قبل القوى الخارجية مثل الدرقاوية و التيجانية[1].

و يصف أبو القاسم سعد الله ذلك كله بالجانب الأسود من العهد العثماني في الجزائر.

لقد بلغ الفساد الإداري و السياسي في الجزائر في مراحل معينة،خاصة مع أواخر القرن 17 و أوائل القرن 18 درجة أمسى من الممكن لأي كان أن يتجرأ عند خلو كرسي الباشوية أو الحكم فيدخل القصر حاملا سيف أو عصى بعدد من الجنود منصبا نفسه حاكما و لا يسع الديوان حينها و معه العلماء و الأشراف و الأعيان إلا أن يبايعوه،و في ظل ذلك الوضع كان من الممكن و السهل على الجزائريين استغلال الوضع و الاستحواذ على السلطة و الاستقلال عن الدولة العثمانية ، غير أن عوامل عدة قد حالت دون قيام مبادرة في هذا المسعى ، و من أهما كون الفئات الأكثر فعالية في المجتمع و القادرة على تحريك الأوضاع كانت من المنتفعين من الحكم و المدافعين عنه بفعل المصالح و المزايا التي تتمتع بها تلك الطبقات نظير قبولها تطبيق سياسة السلطة على الرعية، و هم الحضر ، و الأتراك، و الأندلسيين، و الأعلاج، و المرابطين، و قبائل المخزن، و العلماء، و اليهود[2].

يقر أبو القاسم سعد الله جل الحكام العثمانيين في الجزائر قد استولوا على السلطة في الغالب بالقوة و العنف و ظلم الناس و جمع المال رغم التظاهر بالتدين ، و كذلك النهاية الدموية التي تم القضاء عليهم هم الآخرون [3].

و من الاعتقادات التي رسخت لدى الجزائريين وقتئذ أن العثمانيين هم من هيأهم القدر و العناية الإلهية لحكم المسلمين، و أن الخروج عنهم سينتهي إلى الوقوع في أيدي المسحيين.

و من العوامل التي ساعدت على انفراد الأتراك العثمانيين بالسلطة في الجزائر و خلو المجال السياسي لهم غياب الفكرة الوطنية بين الجزائريين بالمفهوم الحالي، فالإسلام كان هو أساس الصلة بين الأفراد، فضلا عن ترسبات فترة القرن15 و أثر تعدد الانتماء بين الحفصيين

[1]– أبو القاسم سعد الله : **أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر**، المرجع السابق ،ج5،ص186

[2]– أبو القاسم سعد الله ،**تاريخ الجزائر الثقافي** ، ج1، المرجع السابق، ص،ص15–17

[3]– أبو القاسم سعد الله ،**أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر** ، ج2، المرجع نفسه ، ص،ص326–327

و الزيانيين، كل ذلك حال دون قيام الوحدة الجغرافية السياسية في الجزائر في الفترة العثمانية بالإضافة إلى طغيان روح القبيلة في جل أرياف الجزائر [1].

و أمام رحابة مساحة البلاد لم يكن في مقدور السلطة المركزية الوصول إلى حكم الأطراف البعيدة بشكل مباشر ، و لهذا اعتمدت على السلطة المحلية ممثلة في نظام الحكام الإقليميين المعروفين بالبايات و أعوانهم المباشرين و غير المباشرين ، و مقارنة بعلاقة الحكام المركزيين البعيدين عن الأهالي ، فإن سلطة الحكم الحقيقية كانت بيد البايات الذين كانوا يتمتعون بمجالس أشبه ما تكون بمجالس الحكم المركزي ، غير انه كانوا أكثر ترابطا و اتصالا بالأهالي عن طريق المشيخات و القياد الذين يختارون من صلب المجتمع المحلي.

إن الحاكم الفعلي في الجزائر في العهد العثماني هو حاكم الإقليم ، أي الباي الذي يعين و يستمد صلاحياته من قبل الحاكم المركزي في مدينة الجزائر، و هؤلاء الحكام المركزيين يستمدون صلاحياتهم من السلطان العثماني ، و بناء على هذه الفلسفة تولى الأقاليم بايات أتراك عثمانيون، و بعضهم من الكراغلة، و يعد الأخيرون الأقرب إلى الأهالي و أكثرهم اهتماما و رعاية لهم من غيرهم عكس الذين ولدوا خارج الجزائر و الذين جاءوا كمغامرين أو أصحاب مصالح، فالمحليون هم أكثر محاولة لتغيير و إصلاح الأوضاع المختلفة [2].

و من مآخذ الحكم العثماني في الجزائر عدم مراعاة السلطة الحاكمة للأخوة الإسلامية التي جمعت بين العثمانيين و الجزائريين، فلم يمنعها ذلك من الاستئثار بالحكم الذي جعلته حكما تركيا و ليس إسلاميا و نصبوا أنفسهم أوصياء على الجزائريين الذين يفوقونهم عددا و حضارة و شجاعة . و حسبه فالوجود العثماني لم يعد له مبرر في القرنيين 18و19 بعد زوال و تراجع التهديد الاسباني و البرتغالي ، و بالتالي فيعتبر ذلك نوعا من الوصاية[3].

إن غياب الحاكم العادل و الولاء الصريح للرعية إزاء السلطة الحاكمة قد انتهى إلى عدم استقرار الأوضاع الداخلية وعرض البلاد إلى فتن هزت أركان الدولة و المجتمع معا طيلة الفترة

---

[1]– أبو القاسم سعد الله :**تاريخ الجزائر الثقافي** ، ج1، المرجع السابق، ص،ص17–18

[2]– أبو القاسم سعد الله :**أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر** ، ج5، المرجع السابق ، ص173

[3]– أبو القاسم سعد الله :**تاريخ الجزائر الثقافي** ، ج1، المرجع نفسه، ص15

العثمانية ، مما أثر على أوجه الحياة المختلفة. و رغم اتسام بعض الحكام بالعدل إلا أن بعد السلطة المركزية عن الأقاليم قد سمح للقيادات المحلية التعسف و المبالغة في الضرائب و الرشاوي و الفساد الإداري و الجور[1].

إن المتتبع لمسألة الآراء القائمة إزاء الحكم العثماني في الجزائر تصادفه مفارقات و تضاربات عدة سواء تعلق بالآراء المؤيدة و المدافعة عنه أو الآراء المعارضة له على حد سواء، وللوصول إلى حقيقة الوضع إيجابا و سلبا فلا مندوحة لنا إلا بالعودة إلى أراء و مواقف أبي القاسم سعد الله ، فقد فحص و محص عدد هائل من المصادر الوثائقية و المخطوطة و على خلاف الآراء المتطرفة بالتنديد أو التمجيد فإن التزامه المنهجي قد حمله على الإقرار بكل ما انطوت عليه هذه المرحلة التاريخية من إيجابيات و سلبيات ، فقد ندد بالمساوئ و مجد المكاسب و الانجازات[2].

و من بين الأدوار الإيجابية التي تحسب للسلطة العثمانية في الجزائر تشكل و تبلور معالم الدولة الجزائرية الحديثة والتي اصطلح عليها أبو القاسم سعد الله بمرحلة الدولة الجزائرية العثمانية.

و تكمن الأهمية التاريخية للجزائر في العهد العثماني باعتبارها همزة وصل بين الفترة الإسلامية و ما تخللها من تردي مستمر للأوضاع السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية و الفترة الاستعمارية و ما نجم عنها أيضا من عنف عسكري و مسخ حضاري، ويرى أن تقييم هذه المرحلة يستوجب الأخذ بالاعتبار هذا الإطار للفصل في الجدل القائم حول طبيعة المرحلة و بخصوص مجيء العثمانيين بين الغزو أو الإنقاذ، و أثر وجودهم بالسلب أو الإيجاب و حالة البلاد بين التبعية و الاستقلال.

و من بين هذه الجوانب الإيجابية ذات الأهمية البالغة في التاريخ الجزائري على حد تقدير أبي القاسم سعد الله دور السلطة العثمانية في إحباط مشاريع و حملات الغزو و الاحتلال

---

[1]– أبو القاسم سعد الله :**أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر** ، ج5، المرجع السابق ، ص172

[2]–جبران لعرج :"**تقييم المؤرخ أبو القاسم سعد الله لفترة الحكم العثماني في الجزائر**" ،مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية ، المجلد 07،العدد03،جامعة الشهيد محمد لخضر ،الوادي،ديسمبر 2021،ص،ص181–183

الإسباني و تحرير المدن و المناطق المحتلة مابين 1504 و 1792 و بالنظر للجرائم المقترفة و القوانين الزجرية المتبعة في حق مسلمي الأندلس و الجهود التي أعملوها لتعقب المسلمين الهاربين من محاكم التفتيش، فلولا تدخل الدولة العثمانية بعد استنجاد الجزائريين بهم سنة 1516 و 1519 لاجتث الإسلام من جذوره في الجزائر و لكان مصير الجزائريين مثل مصير الأندلسين، و بالتالي فقد كان للعثمانيين الفضل في عدم انقراض الإسلام في الجزائر.

كما سمح الحكم العثماني بتشكل و تبلور الشخصية الجزائرية بتحديد و ترسيم الحدود أحد معالم و أسس الدولة ، و كذلك احتواء الكثير من الاضطرابات الداخلية ، و نجاحها في الحيلولة دون نجاح حملات الغزو الأوروبية المختلفة [1].

[1]– جبران لعرج: المرجع السابق ، ص ،ص183–188

المطلب الثاني: الجهاد البحري و الأسرى:

شهدت الخريطة الدولية تحولات جذرية خلال القرن 16 بانقسام العالم إلى معسكرين غربي مسيحي تحت قيادة إسبانيا ،و شرقي إسلامي تحت قيادة الدولة العثمانية، و تمثل إسبانيا مبعث الدويلات الأوروبية الخارجة لتوها من عصور الظلام إلى عصر الترابط السياسي و الاندماج و التضامن الاجتماعي و التحرر الاقتصادي و التقدم العلمي وشكلت الغطاء السياسي لتكتل غربي مسيحي رافعة شعار الدولة الرومانية المقدسة و دلالاته الروحية ، أي المسيحية ، والتي نشأت و نمت في شكل حركة دينية قومية معارضة للوجود العربي الإسلامي في الأندلس، و بالمقابل ظهرت الدولة العثمانية كنتاج الحضارة العربية الإسلامية في دمشق و بغداد و القاهرة و المدن العلمية في فارس ، و قد تمكنت من لملمة أجزاء هامة من العلام الإسلامي المترامي الأطراف ، و أمست أحدطرفا القوى المسيطرة على زمام العلاقات الدولية تهيمن على محاور برية و بحرية دولية هامة ، و مشكلة القوة الند الواقفة في وجه المد الغربي المسيحي ، و ظهرت الدولة العثمانية كقوة حامية للعالم الإسلامي و مدافعة عنه ، و تمكنت من التوغل في أعماق أوروبا (فيينا سنة 1529) [1].

إن المتمعن في خارطة العالم الجيوسياسية خلال القرن 16 و مهما بدا على الصراع بين المعسكرين الغربي بقيادة اسبانيا و الشرقي بقيادة الدولة العثمانية من طابع سياسي و عسكري ، فإن جوهره حضاري ، لأن المسيحية لا تمثل الجانب الروحي فقط ، بل تنطوي أيضا على اللغة اللاتينية ، و على التراث الإغريقي الروماني ، كما تمثل من الجانب الجغرافي و البشري أوروبا البيضاء و الشقراء، و بناء على العناصر التي تشكل بنية الكتلة الغربية فإنها تمثل طرف الصراع الشمالي، وكل شعوب هذه الكتلة لم تكن ترى في الإسلام دينا سماويا جاء ليصحح المسيحية ، بل مجرد عرب فرضوا أنفسهم باسم الإسلام على أراضي غيرهم .

[1]– أبو القاسم سعد الله :**أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر** ، ج4، المرجع السابق،ص186

و نظير الكتلة السابقة تشكلت الكتلة المضادة من خلاصة حضارة العرب و الفرس والفراعنة و البزنطيين و الأشوريين و الهنود، و من الناحية الجغرافية و البشرية تمثل جانبا من بلدان آسيا و إفريقيا ذات السمرة و الصفرة ، و يمثل هذا المجال بالنسبة للغرب المجال الذي سيطر عليه الإسلام و سكنه المسلمون الذين يرمز إليهم سلوكهم الإنساني و الأخلاقي السيئ و الوحشية و الانحراف السياسي.

و ثمة من يرى بضرورة التفريق بين أشكال العنف البحري، و الأول هي حرب القرصنة التي تقوم فيه الدولة بإشراك الخواص من أصحاب السفن في تكاليف و فوائد الحرب البحرية و الثاني هي الصوصية البحرية و التي تعتبر نهب أساطيل و سفن الغير بدون أساس عقائدي أو قانوني ، و الشكل الثالث هي الحرب المقدسة بين المسيحيين و المسلمين و التي ترتكز أساسا في البحر المتوسط [1].

و يمكن أن نستنتج من خلال هذا الإطار نظرة كل طرف لمساعي و أعمال الآخر فالعمل البحري بمعنى رد التهديد الأجنبي و مقارعة الأعداء الكفار هو جهاد بحري أعظم درجة من الجهاد على البر بالنسبة للمسلمين، و بالنسبة للقوى الأوروبية قرصنة و لصوصية .

لقد اخذ الصراع في الحوض المتوسط خلال القرن 16 في التحول من الصراع بين الدولة العثمانية حاملة لواء العالم الإسلامي و إسبانيا حاملة لواء العلام المسيحي إلى ظهور قوى جديدة في الكتلة الغربية أعطت لها وزنا أكبر و تتمثل في كل من فرنسا و انجلترا، غير أن هذه الدول لم تدخل الصراع لسبب ديني فقط ، بل و لدوافع قومية و اقتصادية إستراتيجية كونها دولا علمانية سندها الطبقة الوسطى و العلم ، و ما ترتب عنه من تطور للنزعة القومية و الاستعمارية[2].

لقد تمتعت الجزائر خلال العهد العثماني بأسطول قوي سمح لها بالسيطرة على الحوض الغربي للمتوسط وعلى شواطئ الأطلس الإفريقية لإنجلترا ، و فرضت بذلك سلطتها البحرية

---

[1] - مروش المنور : **دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، القرصنة ، الأساطير، و الواقع**، دار القصبة للنشر ، الجزائر(د. ذ. ت) ، ص3

[2] – أبو القاسم سعد الله :**أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر** ، ج4، المرجع السابق،ص187-188

على الدول الأوروبية و الو.م.أ الكبيرة منها و الصغيرة . تدفع جميعها الجزية للجزائر سنويا فضلا عن الهدايا لغرض المحافظة على نشاطها التجاري و إرساء صداقة دائمة مع الجزائر و من الملاحظ أيضا أن ثمة دول صادقت الجزائر و دخلت معها في حروب،لكن طيلة القرون الثلاثة كان الانتصار حليف الجزائر[1] .

و مما يدعم قراءة أبي القاسم سعدالله في هذا السياق رأي جمال قنان الذي يقر هو الآخر بحقيقة بروز الجزائر كأحد العناصر المكونة لميزان القوى الرئيسية في البحر المتوسط زهاء ثلاثة قرون وكأحد معالم الهوية الجزائرية التي عجزت الأدبيات التاريخية الغربية طمسها فقد ظهرت البحرية الجزائية بظهور الدولة الجزائرية الحديثة في مطلع القرن 16م[2] .

و يمكن التماس أهمية قوة الأسطول البحري الجزائري في مكانة و وزن الجزائر الدولي في علاقاتها مع الدول الغربية، و من بينها البرتغال التي كانت داعمة لمساعي اسبانيا التوسعية في الجزائر، و لكن بسبب رضوخ الدول الأوروبية وعقدها معاهدات سلم مع الجزائر مع اواخر القرن 18م لم تجد بدا من الاصطفاف هي الأخرى و عقد معاهدة 1785 بوساطة إنجليزية تم تجديدها سنة 1813. و تعد هولندا أيضا من الدول الاوروبية التي ربطت علاقاتها مع الجزائر سنة 1616 و استمرت إلى غاية 1830، و تأرجحت هذه العلاقة بين السلم و الحرب و شنها حملات عدة سنوات 1630و1656و1662و1664و1670 كما دعمت حملة إكسموث 1816[3].

و بعد بروز أسطول الو. م.أ في البحر المتوسط سنة 1783 و تعرض سفنها للحجز من قبل الجزائر سنة 1785 ثم سنة 1793حيث أسرت ثلاثة عشر سفينة بها مائة أسير أمريكي ، اضطرت على إثرها الو. م.أ هي الأخرى مرغمة على توقيع معاهدة سلام مع الجزائر تقر بدفع جزية سنوية ، و رغم تزايد القوة البحرية للو. م.أ مقابل تدهور نظيرتها الجزائرية بعد

---

[1]– أبو القاسم سعد الله :**أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر** ، المرجع السابق ، ج2،ص248

[2] - جمال قنان:**قضايا و دراسات في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر** ،منشورات المتحف الوطني للمجاهد،المؤسسة الوطنية للاتصال و النشر و الإشهار، الرويبة، الجزائر ،1994،ص33

[3]– عبد القادر فكاير: **دراسات في تاريخ الجزائر الحديث**، ، دار هومة للنشر و التوزيع،الجزائر ، **ص،ص105–112**

حملة إكسموث 1816إلا أن المعاهدة المبرمة بين البلدين سنة 1815و التي تم تجديدها عدة مرات لاحقا قد أبقت على الحالة الطبيعية للعلاقات الجزائرية الأمريكية إلى غاية 1830 [1].

و تميزت العلاقات الجزائرية الفرنسية بالقدم و التعاون والصداقة، و تجلى ذلك في الامتيازات و القروض و معاهدات السلام المبرمة بين البلدين، بحيث سمح لفرنسا منذ بداية القرن 16بممارسة التجارة و صيد المرجان على الساحل الشرقي للجزائر.

وتدهورت العلاقة بين البلدين إبان الثورة الفرنسية 1789 و لكن لم تمنع من حصول فرنسا على الحبوب و النقود،و ردا على حملة نابليون على مصر 1798 أعلنت الجزائر الحرب على فرنسا تماشيا والتزامات الجزائر نحو الباب العالي، و نظرا لما تميز به الظرف حينئذ من تصاعد المكانة البحرية لبريطانيا قامت الجزائر بتجريد فرنسا من امتيازاتها و منحها لبريطانيا إلى أن قامت الأخيرة بحملتها سنة 1816 [2].

و نظرا لتضارب المصالح بين فرنسا و انجلترا فإن خشية فرنسا من تعاظم مكانة انجلترا في البحر المتوسط على حسابها كانت تفضل استمرار ممارسة الجزائر للقرصنة طالما قد ضمنت امتيازاتها، و هذا لا يتنافى و مساعيها القديمة و المبيتة لغزو الجزائر[3]. و حادثة المروحة في أفريل1827 لم تكن سوى ذريعة فقط لضرب الحصار البحري على الجزائر لمدة ثلاث سنوات، انتهت بحملة الغزو في 14جوان 1830 فالوثائق بينت أن الأمر لم يكن سوى مجرد ذريعة و أنها كانت تبيت مساعي الغزو و الاحتلال منذ أمد بعيدة و من بينها وثائق تعود إلى سنة 1729 و أخرى سنة 1791 و آخرها مشروع بوتان 1807 تتناول خطط و مقترحات الإنزال ، و الجدير بالإشارة أن المخططات شملت الجزائر و تونس معا [4].

و عموما يمكن استنتاج الفرق في سياسة فرنسا إزاء الجزائر بجنوحها للسلم و التعاون في القرنين 16 و 17 نظرا لطبيعة موازين القوى الدولية وقتئذ باعتبار أن الجزائر كانت أحد

---

[1]– أبو القاسم سعد الله : **أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر** المرجع السابق، ج2،ص250

[2]– أبو القاسم سعد الله :**أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر** ، نفسه،، ج2 ،ص254

[3]– عبد القادر فكاير : **دراسات في تاريخ الجزائر الحديث**، المرجع السابق، ص12

[4]– أبو القاسم سعد الله :**أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر** ، المرجع نفسه، ج2، ،ص،ص255–256

أقوى الأقطاب الفاعلين في الحوض الغربي للبحر و المتوسط ، ثم تحولها تدريجيا نحو العنف و القوة و العداء للجزائر مع أواخر النصف 18 بفعل العاملين الداخلي المتمثل في التطورات السياسية في فرنسا و تبدل نظام الحكم و الخارجي المتمثل في تراجع قوة الجزائر.

و تعود العلاقات الجزائرية الإنجليزية إلى فترة ما قبل الحكم العثماني، و بسبب التنافس و العداء القائم بين فرنسا و إنجلترا فلا يمكن تتبع العلاقات الجزائرية الانجليزية دون التطرق إلى العلاقات الجزائرية الفرنسية و من بين أسبابه الأهمية الجغرافية و السياسية و التجارية للجزائر ، و عرفت الجزائر كيف تستفيد من ذلك لتعاملها معهما الإثنتين ، و حصلت بريطانيا على امتيازات لا تقل أهمية عن تلك التي حصلت عليها فرنسا وهذا في 1620 و عندما اتسعت حروب نابليون قامت الجزائر بمنح امتيازات فرنسا لإنجلترا سنة 1806 ردا على غزوها لمصر، إلا أن فرنسا قد تمكنت من إبرام معاهدة 1817التي سمحت لها باسترجاع امتيازاتها السابقة ردا على حملة إكسموث، و هذا ما دفع بريطانيا إلى للوقوف مع الجزائر ضد فرنسا إلى غاية حملة الغزو سنة 1830 [1].

ومن المؤرخين الأوروبيين الذين تحاملوا على تاريخ الجزائر الحديث بسبب الغزو البحري و سيطرتها على الملاحة الدولية في الحوض الغربي المتوسط دوتاسي، و ديقو هايدو و لويس مرمول، و برنار دو دريتي، و ليون الإفريقي، و بيار دان، و قرامون، و دفيتي و هيكليت و دابر.غير أنه ثمة من اعترض على آرائهم المغرضة و انتقدهم بشكل لاذع معيبا عليهم الجهل بعادات الجزائريين و منطلقاتهم المدفوعة بروح الجهل و الحقد الديني و الأحكام المسبقة ، و هو القنصل البريطاني جوزيف مورقان الذي رد السياسة البحرية الجزائرية إلى التهديد الأوربي الذي دفع الجزائريين لكي يكونوا شعبا بحريا قويا، و رفض الأوصاف القائلة بأن الجزائر عبارة عن عصابة من القراصنة الجبناء الضعفاء، و أن مدينة الجزائر مدينة الرعب و ملاذ قطاع الطرق و طلاب الغنائم و عش العفاريت، كما رفض الآراء القائلة بأن الجزائريين الأعداء الألداء للمسيحيين و تجارتهم، ونوه بقوة الأسطول الجزائري مقرا بشرعية

[1]– أبو القاسم سعد الله :**أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر** ، ج2، المرجع السابق،ص251

الغزو البحري مستدلا في ذلك بالمواجهات التي وقعت بين البحرية الجزائرية و الاسبانية خصوصا و منها فشل حملة شارلكان سنة 1541 و تحرير وهران سنة 1708 .

و تكمن أهمية هذا المصدر بالنسبة لأبي القاسم سعد الله أيضا لما أورده في كتابه "الكامل في تاريخ الجزائر" حول امتلاك الجزائريين لمزارع ضخمة في أمريكا و خدم من الزنوج يعملون لديهم في مزارعهم تلك، و يدعو إلى التحقيق في هذه المسألة، فإن تم تأكيدها فهذا ما يدل على تمكن البحرية الجزائرية من قطع المحيط الأطلسي و يعكس بذلك قوتها، رغم أنه من بين الأعمال المشهود عليها تلك التي قام بها مراد رايس سنة1585و هي خوض عباب المحيط الأطلسي و الإغارة على جزر الكناري و أسر ثلاثمائة إسباني و من بينهم زوجة حاكم الجزر[1].

لقد تميزت الآراء و المواقف الأمريكية تجاه الجزائر ما بين 1716 و إلى غاية 1830 بالذاتية و عدم الإنصاف لاعتمادها على كتابات الأسرى الأمريكيين الذين وقعوا في الأسر بالجزائر، و التي كان هدفها إثارة العاطفة الدينية و الوطنية و شحذ الهمم للفداء و الانتقام فبرزت الروايات و المسرحيات المسيئة لسمعة الجزائر[2].

إن نظرة الأمريكيين لتاريخ الجزائر خصوصا و المغرب العربي عموما على حد تقديره انبنت على جهلهم لتاريخ و ثقافة المنطقة و التعالي الحضاري و العسكري و النظرة التي ورثوها عن الأوروبيين إزاء الحضارة الإسلامية و أهلها، و خاصة ما تعلق منها بمسألة القرصنة[3] .

و عموما تميزت النظرة الأمريكية لتاريخ الجزائر في العهد العثماني بمحاولة إبراز تفوق البحرية الأمريكية و رفض دفع الجزية و فرض المعاهدة تعظيما و إجلالا لمكانة الو.م.أ و اتهام حكام الجزائر بالتعصب الديني و التخلف الحضاري و القرصنة [4].

---

[1]– أبو القاسم سعد الله :**أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر** ، المرجع السابق، ج2 ،ص320

[2]– أبو القاسم سعد الله: **أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر** ،المرجع نفسه ،ج3،ص163

[3]– أبو القاسم سعد الله : **أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر** ،المرجع نفسه ، ج3،ص162

[4]– أبو القاسم سعد الله: **أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر** ،المرجع نفسه ، ج3،ص171

و لم تخل كتابات الكثير من الغربيين حول الأسرى في الجزائر في العهد العثماني من الذاتية، إذ كثيرا ما استندت إلى كتبات الرهبان و الأسرى أنفسهم الذين يضمرون الحقد و الكراهية للجزائر و أهلها، و التي ركزت على سوء المعاملة و حملتهم على ترك دينهم قسرا و مما يدل على بطلان هذا الإدعاء حسب أبو القاسم سعد الله أن رحالة عديدون أكدوا على التسامح الإسلامي و تمتع الأسرى بحرية العقيدة و أبرزهم دوتاسي و لاكوندمين و وليام شالير[1].

إن كتابات الأسرى الأوروبيين و المبشرين المسيحيين و ما تميزت به من ذاتية و تعصب أعمى و وصف البحرية الجزائرية بأشنع الأوصاف هي التي أدت إلى ترويج السمعة السيئة التي ألصقت بالقراصنة الجزائريين في أوروبا خلال القرن 17م خصوصا لغرض استعطاف الكنيسة و جمع المال باسم فدية الأسرى[2].

وإذا كان جمال قنان يتفق مع أبي القاسم سعد الله بخصوص شرعية العمل البحري الجزائري ورفض الكتابات القائلة بانحصار دور البحرية الجزائرية في زرع الرعب وتخريب و تدمير التجارة الدولية السلمية و السلب و النهب، والتأكيد على دورها في حماية مصالح الدولة المشروعة و الدفاع عنها بالطرق المتعارف عليها من قبل المجموعة الدولية في تلك الحقبة، فإنه يعزو تطور الأسطول العثماني و يرد فضله للأسطول الجزائري، وأن الدولة العثمانية كانت دولة قارية و لم تتحول إلى قوة بحرية إلا بعد تحالفها مع البحرية الجزائرية و بالتالي إقرار جمال قنان لأصالة الأسطول الجزائري كمؤسسة عسكرية تشكل أحدى أركان الدولة الجزائرية الحديثة [3].

و إلى جانب ظهور الإطار الإقليمي للجزائر الحديثة و خاصة بالنسبة لحدودها الشرقية و الغربية في النصف الأول من القرن 16م على النحو الذي يؤكده أيضا أبو القاسم سعد الله

---

[1]– أبو القاسم سعد الله: **أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر** ، المرجع نفسه ، ج5، ص،ص248–249

[2] - مروش المنور: **دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، القرصنة ، الأساطير، و الواقع**، دار القصبة للنشر ، الجزائر(د. ذ. ت) ، ص15

[3] - جمال قنان:**قضايا و دراسات في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر** ،منشورات المتحف الوطني للمجاهد،المؤسسة الوطنية للاتصال و النشر و الإشهار، الرويبة، الجزائر ،1994،ص،ص35– 39

فيرى المؤرخ جمال قنان أنه رغم انضمامها للدولة العثمانية سنة1519 إلا أن طابعها الخاص قد حملها على ضبط علاقاتها الخارجية بنفسها حسب ما تقتضيه ظروفها و مصالحها الخاصة و مما يبين تبلور معالم الدولة الجزائرية وقتئذ حرصها على نبذ التكتلات و التزام الحياد إزاء الصراعات الأوروبية مع عملها على تحصين المنطقة المغاربية ككل كمنطقة متكاملة سياسيا و أمنيا ضد التدخل الأوروبي و الحيلولة دون التدخل أو التأثير في الشؤون الداخلية لبلدان المغرب العربي، و بسبب وفاء الجزائر بالعهود و التقيد بالالتزامات المتفق عليها مع القوى الأوروبية فقد أكدت التقارير الدبلوماسية الموضوعية الاوروبية على إيجابية الدبلوماسية الجزائرية، كما أكدت على اعتبار الجزائر أن حالة السلم في البحر المتوسط أي التعايش السلمي هي الوضعية الدائمة و العادية و أن الحرب هي الاستثناء و المؤقت، كما تؤكد معاهدات القرن 18م و مابعده مبدأ المساواة في تعامل الجزائر مع الدول الأوروبية دون الاعتبار لدول كبرى أو صغرى، من حيث الاميتيازات و الالتزامات، كما أثبتت الأدبيات الأوروبية للجزائر مبدأ التسامح الديني و مراعاة الشرائع و الاعراف و تقاليد الرعايا الأجانب [1].

و على خلاف العمل البحري الغربي و بالأخص الاسباني الذي ينطبق عليه مفهوم اللصوصية، فإن مراعاة الجزائر لقواعد و أعراف القانون الدولي السائدة في العصر الحديث في سياستها الخارجية قد أضفى على القرصنة الجزائرية طابع النبالة و الشرعية،إذ لا تهاجم إلا سفن الدول التي هي في حالة حرب رسمية مع الجزائر [2].

و بناء على ما سبق يرى جمال قنان أن مؤتمر فيينا 1815 ردة أوروبية على المبدأ الذي أقرته الدول الإسلامية و منها الجزائر في معاملاتها مع الدول الاوربية القائم على الوئام و بالتالي فأوروبا هي من قام بهدم القانون الدولي الذي رسمتهالجزائر و الذي يعمل لصالح المجموعة الدولية و استبدلته بقانون الغاب أو قانون الحق للأقوى، و من المؤتمر حصلت

---

[1] - جمال قنان:**قضايا و دراسات في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر** ،المرجع السابق،1994،ص،ص46-56

[2] - مروش المنور: **دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، القرصنة ، الأساطير، و الواقع**، دار القصبة للنشر ، الجزائر(د. ذ. ت) ص5

انجلترا ثم فرنسا على التزكية الأوروبية لوضع حد لاستقلال الجزائر و سائر بلدان المغرب العربي تحت طائلة محاربة القرصنة.

و يتفق جمال قنان مع أبي القاسم سعد الله بخصوص العيوب التي تخللت الدبلوماسية الجزائرية رغم عناصر القوة التي انطوت عليها و من بينها، عدم وجود هيئة أو جهاز مختص لمتابعة النشاط الدبلوماسي و تطويره، و كذلك النظرة المثالية للعلاقات الدولية و الارتكاز على مبدأ الحق و العدل ، و غياب تصور سياسي كامل و متكامل تجاه الدول الأوروبية يوازن مصالحها و أهدافها و تطلعاتها، و أكبر دليل على كل ذلك عدم إدراك الخطر الأوربي رغم بلوغ ذروته و عدم أخذ الاستعدادات و الترتيبات اللازمة، الذي يتجلى أكثر في الأزمة الجزائرية الفرنسية1827-1830[1].

[1] - جمال قنان:**قضايا و دراسات في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر** ،منشورات المتحف الوطني للمجاهد،المؤسسة الوطنية للاتصال و النشر و الإشهار، الرويبة، الجزائر ،1994،ص،ص46-56

المطلب الأول: الاجتماعية:

يرى أبو القاسم سعد الله أن المجتمع الجزائري كان شبيها بمجتمع جنوب أوروبا باستثناء فرنسا، و هذا في العصر الحديث، بالنظر إلى الطبقات القائمة فيه، إذ يلاحظ طبقة الأرستقراطية في القمة و الفلاحون في الحظيظ ، و بين الطبقتين توجد فئة جد قليلة و ضعيفة لدرجة لا يكاد يذكر تأثيرها . و يكمن وجه التشابه بين المجتمعين في غياب الأفكار التنويرية و بما أن المجتمع لم يكن مبنيا على النمط الذي يجعل من الطبقة الوسطى عاملا محركا في المجتمع ، فإن العامل الأساسي المؤثر و المحرك للمجتمع هو الدين، و هذا هو الأمر الذي لم يستوعبه المؤرخون الغربيون. وعلى الرغم من شيوع السخط بين أوساط الجزائريين إزاء الإجحاف و الفساد و الظلم الذي عرفه الحكم العثماني في الجزائر، وبشكل كبير، إلا أن عاملا هاما قد حال دون جنوحهم لخوض ثورة منظمة ضد السلطة الحاكمة، و هذا بفعل فقدان الضمير الاجتماعي الذي يتوقف على وجود طبقة وسطى قوية محركة له.

إن نظرة المؤرخين الأوروبيين لمسألة الرق في الجزائر تدل على عدم فهم للعلاقة القائمة بين الدين و السياسة بخصوص نظام الرق، و لهذا يرون أن الجزائر قد طبقت الاسترقاق على المسيحيين فقط ، و مما يدل على عدم فهم ذلك هو إجماعهم على أن الجزائر لم تستخدمه أبدا ضد بلد صديق[1].

و تميز نظام الحكم العثماني في الجزائر بتركز السلطة في يد فئة العسكر بمختلف أصنافهم ، و من بين العناصر التي لم تكن مقربة من السلطة الحاكمة الكراغلة، غير أنهم كانوا يشكلون فئة ممتازة ، و كذلك الأندلسيون و اليهود ، الأندلسيون بسبب مؤازرتهم للحكم العثماني و المصالح المشتركة القائمة بين الطرفين، أما اليهود فقد ساندوهم أيضا لما لقوه و حظيوا به من الأمن من قبلهم مقارنة بالاضطهاد و القهر الذي لقوه من قبل الإسبان سابقا .

[1]– أبو القاسم سعد الله:**أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر** ، ج2، المرجع السابق،ص،ص246–247

و يشكل اليهود فئة جد مقربة من السلطة الحاكمة في الجزائر لما حظيت به من رعاية و امتيازات جراء ولائها لها ، و من مظاهرها توليتهم مراقبة العملة و فحص الذهب و الفضة في خزانة الدولة ، و كذلك تمكينهم من التجارة مع أوروبا تصديرا و استيرادا.

إن الإقرار بالمصالح المشتركة بين السلطة الحاكمة و الفئات المشكلة لمجتمع المدينة من الأتراك و الكراغلة و الأندلسيين و الحضر و اليهود ينم عن المكانة التي تحظى بها هذه السلطة لدى سكان المدن مقارنة بسكان الأرياف. و على غرار الأندلسيين و الكراغلة و اليهود لم يكن بوسع الحضر أيضا سوى التعاون مع السلطة الحاكمة ، الذين يعتبرون العنصر الأساسي لضمان استقرار و حاجة هذه الفئة أيضا لحماية السلطة لتجارتهم و صناعتهم[1] .

و لكن العنصر الغالب في المجتمع هم سكان الريف، و هم عناصر عربية و أمازيغية تفاعلت و اندمجت عبر أربعة عشر قرنا من الزمن و لعب الدين الإسلامي دور كبير في تحقيق هذا التلاحم من جانبين أساسيين ، الجانب التشريعي و اللغوي. و تشكل الأسرة نواة المجتمع ، و التي تتشكل بدورها من الوالدين، و الأبناء، و يؤدي الوالد دور الرئيس ، فهو الذي يضطلع بالتوجيه و التسيير و التموين، و هو المدبر لشؤون الأسرة الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية و السياسية، و يحظى بطاعة تامة من قبل أفرادها، و هذا ما يفسر تماسك الأسرة الجزائرية رغم الهزات الاقتصادية و الاجتماعية التي مرت بها البلاد وقتئذ.و تليها القبيلة التي تتشكل من مجموعة من الأسر، تنحدر من جد واحد، و رغم تفاوت هذه الأسر في التعداد إلا أن عاداتها و تقاليدها و أعرافها تبقى واحدة.و تخضع لرئيس القبيلة الذي يمثلها و يدافع عنها.

و تشكل مجموعة القبائل العشيرة، التي تنحدر هي الأخرى من أصل و جد واحد، ولكن على مر الوقت تكتسب كل واحدة منها شخصيتها الخاصة بها،و غالبا ما تشكل عدة قرى و مداشر دواوير أحيانا.و تؤلف العشائر بدورها العرش، و تتميز رغم وحدة الأصل بوجود فوارق ملموسة التقاليد و الأعراف، يتولاه رئيس أو مزور أو وكيل أو كبير،حسب المناطق و الجهات،

[1]– أبو القاسم سعد الله :**أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر** ، المرجع السابق ج5،ص،ص181–182

و غالبا ما يعين على هذا المنصب الأشخاص كبار السن أو المشهود لهم بالوعي و التجربة و الثقافة، و الشرف و الشجاعة. و من مجموعة القرى تتشكل القرى و المداشر و الدواويير[1] .

و من الظواهر التي عرفتها الجزائر توالي النكبات الطبيعية كالزلازل و القحط والمجاعات و الأوبئة، ومن أهمها هجوم الجراد والوباء سنة 1648، مات جراءها عدد كبير من العلماء [2]. و يعد الطاعون من أخطر الأوبئة التي تعرضت لها الجزائر على غرار البلدان المتوسطية الأخرى، و قد تميزت بالدورية، بحيث تقع مرة كل خمسة عشر سنة، و أخطرها وقع سنة 1740 بلغ عدد ضحاياه ما معدله ثلاثمائة إلى أربعمائة شخص و طال لمدة ثلث سنوات متعاقبة، ثم ظهر أعوام 1752 و1753 و1756، و أخطره كان سنة 1787 الذي عرف بالوباء الكبير، بلغت حصيلة وفياته في مدينة الجزائر لوحدها ما معدله خمسمائة وفاة يوميا حصد فيها إجمالا 16762 وفاة، و استغرق عشر سنوات. و آخر وباء بين 1816 و 1822

عم كل أطراف البلاد و بلغ مشارف الصحراء مات على إثرها من 10%إلى 20% من سكان المدن.و من الأمراض الأخرى التي عرفتها الجزائر في العصر الحديث مرض الجدري و حمى المستنقعات و التيفوئيد [3].

و الملاحظ أن الرعاية الصحية تركت للمبادرات الشخصية و لم تسجل أي محاولة لحبس او وقف لصالح مؤسسة صحية سواء من قبل الحكام أو بقية فئات المجتمع.

إن الطبقات الاجتماعية التي وقفت سندا للسلطة العثمانية في الجزائر معظمها كانت من المرابطين و المهاجرين و الأندلسيين و قبائل المخزن و اليهود . و لاحظ أبو القاسم سعد الله أن هذا التوافق بين هذه الطبقات و النظام الحاكم مرده المصالح الحيوية المشتركة، فبقاء أي طرف مرهون ببقاء الطرف الآخر[4] . كما أن سيطرة الأتراك العثمانيين على السلطة رغم تعداده الذي يقدر بمعدل عشرون ألف نسمة سببه توليهم المناصب الحكومية المهمة دون

---

[1]– يحي بوعزيز :**مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية و الدولية**،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1999،ص،ص320–321

[2]– أبو القاسم سعد الله :**أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر** ، ج3، المرجع السابق،ص230

[3] - عائشة غطاس : **الحرف و الحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830مقاربة اجتماعية –اقتصادية** ،المرجع السابق ، ص،ص 58-66

[4]– أبو القاسم سعد الله : المرجع نفسه، ج 1 ،ص16

سواهم من الجزائريين الذين يقدر عددهم بثلاثة ملايين نسمة ، و قد تميزت العلاقة بين السلطة الحاكمة والسكان بكونها علاقة نفعية بحتة، من خلال نظام المشيخة المعتمد، و هذا ما يفسر الطابع القبلي للمجتمع، و كذلك توتر العلاقة بين الطرفين رغم الأدوار الممنوحة لقبائل المخزن نظير الامتيازات الاقتصادية الممنوحة لها، و لعبت الأوقاف دور اقتصادي و اجتماعي هام ، تمثل في تحقيق التضامن الاجتماعي و التقارب الأسري و حماية الأسرى و رعاية المحرومين ، و أهمية ذلك في إرساء الأخلاق العامة.

و من بين مظاهر الانحطاط في المجتمع تدهور الصحة العمومية، التي لم تحظ بالرعاية من قبل السلطة الحاكمة بعدم بناء المستشفيات و ركون الجزائريين إلى الزوايا التي كانت تأوي و تساعد على مداواة المرضى بالأعشاب ، و اغلب المداوون ليسوا أطباء بالمعني الفعلي للكلمة ، و تولى أعمال الجراحة الحلاقون، و لم يوجد في الجزائر إلا مستشفى إسباني واحد في مدينة الجزائر لا دخل للسلطة فيه [1].

و على الرغم من صور الانحطاط السالفة الذكر، إلا أن المجتمع كان لا يزال متمسكا ببعض المظاهر الحضارية الأصيلة ، مما يدل على رسوخ الشخصية الوطنية ، و لعل من بين ما يدل على ذلك ما أورده الأسير النرويجي"نيلز نيلسون موس (1769-1772) واصفا الوضع" ...تشابه ألبسة السكان العاديين بتلك التي يلبسها الداي و رجال الديوان مع فارق ، و هو أن لباس الأخيرين مطرز بالذهب او الفضة...و النساء يرتدين الحايك كلباس خارجي مع سروال حتى الحذاء، و يصبغن أيديهن بألوان جميلة ، و يصبغن أيضا شعور أطفالهن باللون الأحمر...و أغلب السكان يؤدون الصلاة في المساجد ماعدا الذين تلزمهم أعمالهم على القيام بذلك... [2]" . و من الظواهر التي عرفها المجتمع الجزائري في العهد العثماني الهجرة خاصة نحو البلاد الإسلامية لكنها أخذت وتيرة متزايدة غداة الاحتلال الفرنسي، ولهذا شملت هذه الهجرة في البداية الذين اتهمتهم فرنسا بالتآمر ضدها و الارتباط بالأتراك، وأكثرهم من العناصر

[1]- محمود محمد المشهداني: "**أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني 1518-1830**"، مجلة الدراسات التاريخية و الحضارية، المجلد 05، العدد 16، 2013 ،ص،ص17-23

[2] -نيلز نيلسون موس،**مذكرات**، ترجمة و تعليق لخضر بوطبة،البدر الساطع للطباعة و النشر، الجزائر، ط1، 2019،ص،ص 102-115

الفاعلة في الساحة السياسية و الدينية ،خاصة العثمانيون الذين كانوا يتولون السلطات القضائية أو السياسية أو الإدارية كالبايات و أعوانهم ، و كذلك القضاة و المفتيين ، و كانت وجهتهم الشام و الإسكندرية و الحجاز[1] .

[1]– أبو القاسم سعد الله :**أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر** ، ج4، المرجع السابق،ص193

المطلب الثاني: الاقتصادية:

اتسمت الحياة الاقتصادية في الفترة العثمانية بتباين النشاط بين المدن و الأرياف ففي المدن سواء على الساحل أو المناطق الداخلية سادت التجارة و الحرف التقليدية، بينما ترتكز في الأرياف على الفلاحة و تربية المواشي بالدرجة الأولى ، و تستقطب الفلاحة ما يفوق ثمانين بالمائة من السكان، و تشمل الحبوب كالقمح، و الشعير، و الخرطال، و الذرة ، فضلا عن الخضر و الفواكه، في السهول الساحلية و الجبلية و العليا المطيرة.تستخدم فيها الوسائل التقليدية من المحراث الخشبي و الثيران و الأحصنة و البغال، و الأحمرة. و كان الإنتاج في السنوات المطيرة وفيرا يحقق الاكتفاء و يخزن الفائض في المطامير استعدادا لسنوات القحط المحتملة. و إلى جانب الحبوب ازدهرت زراعة الأشجار المثمرة كالتين و الزيتون و الرمان و الكروم، و التفاح و البرتقال و الليمون، و اللوز و العناب و النخيل و غيرها.و ازدهرت تربية الماشية كالضأن و الماعز و الأبقار و البغال و الخيول و الأحصنة و الجمال و تستخدم في اللحوم و الشحوم و الأصواف و الجلود و الشعر و السمن و الحليب و الأجبان[1].

و في معرض وصفه لإيالة الجزائر، أشار الرحالة توماس شو إلى الإمكانيات الطبيعية الهامة التي يحظى بها قطاع الفلاحة في عموم المناطق السهبية و التلية، و أهمها الأراضي الزراعية الواسعة و الخصبةو تناسب فترات تساقط الأمطار مع فترة زراعة الحبوب و البقول مابين سبتمبر و أفريل، بالإضافة إلى الزراعة المسقية في السهول الساحلية و الداخلية حيث وفرة الشبكة الهيدروغرافية[2].

[1]- يحي بوعزيز : **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية و الدولية**،المرجع السابق،ص،ص328-329

[2]-Thomas Shaw ,**voyage dans la régence d,Alger au 18me siècle** ,traduit par E.MacCarthy(1830),grand Alger livres édition , Alger , Algérie ,2007,P34

و من خصائص المناخ الجزائري تذبذب التساقط و سوء توزيع الأمطار خلال الموسم الزراعي، بحيث غالبا ما تنعدم الأمطار في فصل الخريف فيتعذر بذلك الحرث و البذر و مما زاد من حدة الأزمة أ ن الجفاف كثيرا ما كان مصحوبا بآفة غزو الجراد. و كان كلما أصاب البلاد ألحق أضرارا جسيمة بالإنتاج، مثلما حدث في سنوات1710،و1716 1724و1760و1794و1799و1804 و1813 و1816 و1822. و كثيرا ما تؤدي هذه الكوارث الطبيعية إلى إتلاف المنتوجات الزراعية و الارتفاع الفاحش للأسعار و انحصار النشاط التجاري في الأسواق الداخلية و الخارجية، فضلا عن انهيار الوضع المعيشي و انتشار المجاعات و موت الناس جوعا في الطرقات و الأسواق، و غالبا ما تعم هذه الأزمات كل ربوع البلاد [1].

لقد توالت على الجزائر في العهد العثماني خاصة في الفترة الأخيرة منه أزمات اقتصادية تخللتها اختلالات مالية حادة، وتعود إلى عوامل كثيرة داخلية و خارجية، ومنها سنوات الجفاف و المجاعات التي أجهدت الحكام و أثقلت كاهل السكان، بحيث أدى الجفاف أيضا خلال سنوات1800و1807و1816و1816و1919 إلى تدهور النشاط الزراعي و انقطاع المحاصيل الزراعية و ارتفاع أسعار الحبوب خاصة القمح و اضطر السكان إلى أكل الميتة و تشتتوا في الأرض بحثا عن الطعام، و مع تلك الشدة لم تحرك السلطة ساكنا.

و من الاختلالات التي لاحظها أبو القاسم سعد الله بخصوص السياسة الاقتصادية و المالية في الجزائر خلال العهد العثماني و أكدها ناصر الدين سعيدوني أن الدولة الجزائرية حينئذ و رغم اهتماماتها المتزايدة بالحالة المالية للبلاد فإنها لم تستطع انتهاج سياسة مالية تخدم المصالح العليا للبلاد، و أن النظام المالي لم يكن يخدم سوى مصالح الطبقة التركية الحاكمة و رغم موقفهما هذا الصارم من الاختلال المالي القائم و الأحوال الاقتصادية السيئة إلا أنهما يرفضان التسليم بالتهم القاسية التي ألصقها كثير من الكتاب الأوروبيون بتصرفات السلطات الجزائرية في الأمور المالية،و مفادها أن عدم اهتمام الأتراك العثمانيين في الجزائر بحاضرهم

[1] - عائشة غطاس ، "**الحرف و الحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830مقاربة اجتماعية –اقتصادية**" ،أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث،ج1،جامعة الجزائرأكلية العلوم الانسانية ، قسم التاريخ، السنة الجامعية2000-2001، ص،ص56-57

و بالتالي عدم إعارتهم أي اهتمام بالمستقبل، مما غلب على حكوماتهم طابع الآنية تماشيا و مصالحهم الشخصية و الظرفية[1].

و من المؤرخين الذين أدلوا هم الآخرون بدلوهم بخصوص حقيقة و طبيعة النظام الاقتصادي في الجزائر خلال العهد العثماني محمد غالم الذي يربط بين طبيعة نظام الحكم الذي يعد بمثابة جمهورية عسكرية ، جعل الجزائر تحظى بشبه استقلال عن الخلافة العثمانية، تجسد في نظام اقتصادي ذو طابع جبائي في الأساس، تعتمد في بسط سلطتها المحلية على العنصر الكرغلي ، و هذا من خلال نظام إداري يوحد البلاد، و نظام جبائي يختلف عن نظيره في تونس و المغرب الأقصى، و من دلالات هذه الخصوصية اعتبار الجزائر ككيان جغرافي و سياسي مختلف في بناء هويته الوطنية ، و هنا يكمن الدور و الاسهام الايجابي للبناء الاقتصادي و السياسي الذي اوجدوه، و لكن احتكار السلطة و الثروة قد خلق قطيعة بين الرعية و السلطة، فالاهالي الجزائريون كمجموعة بشرية لم تمت إلى الطغمة الحاكمة بصلة ، فهي لم تمثلهم و لم يشاركوا في تسيير الدولة كما لم يتفيدو من موارد مواردها و لا تصرفوا في فائض انتاجهانإذ كان هذا الفائض حكرا على الطبقة الحاكمة يحددون اسعاره و مبيعاته، و يختصون دون سواهم بمنح الامتيازات حسب أهوائهم لليهود و الشركات الفرنسية[2].

و العامل الخارجي تمثل في تقلص مداخيل البحرية و تأثيره السلبي على مداخيل خزينة الدولة،بعد تحالف القوى الأوروبية و تعاونهم للقضاء على نشط الأسطول الجزائري ،خاصة بعد انعقاد مؤتمر فيينا سنة1815م ثم مؤتمر إكس لاشابيل سنة1818م.

لقد تزامنت التحولات الخارجية مع فترات القحط في الداخل ، و في الوقت الذي كان على السلطة الحاكمة البحث عن حلول لإنقاذ الرعية من المجاعات عملت على تعويض الخسائر الناجمة عن تراجع مداخيل البحرية بزيادة الضرائب و تكثيف الجباية من جهة و تصدير الحبوب إلى الخارج فاسحة السوق للشركات الاحتكارية الأوروبية وبالأخص للسماسرة

---

[1] -ناصر الدين سعيدوني: **النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني1792-1830**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ،ط1985،3،ص،ص237-238

[2] -أحمد عبيد: "**التأريخ الجزائري تقييم و نقد-حالة الجزائر العثمانية**"، مجلة إنسانيات، العدد47-48 ، الجزائر ،2010، ص،ص 57-75

اليهود بوشناق و بكري تصديرا و استيرادا، الذين استغلوا الفرصة لتشديد قبضتهم على شؤوون الجزائر السياسية و الاقتصادية[1].

[1]–محمد شاطو،**نظرة المصادر الجزائرية و الأجنبية إلى السلطة العثمانية في الجزائر**،دار كوكب العلوم للنشر و الطباعة و التوزيع،الجزائر ط2023،1،ص،ص122–125

خاتمة:

تعد الفترة العثمانية في الجزائر فترة حساسة في تاريخ الجزائر بسبب التقلبات التي مرت بها البلاد و النتائج المترتبة عنها ، و حسب كتابات أبي القاسم سعد الله تتمثل في طبيعة النظام السياسي القائم ، الذي غلب عليه الطابع العسكري و الإداري، و إقصاء العنصر المحلي، و ما اتسم به من الظلم و التعسف، سمح للأقلية الحاكمة من الإنفراد بالسلطة و الثروة، و تحول المجتمع جراء ذلك إلى مجتمع إقطاعي، يسوده نظام اقتصادي تقليدي، عرض السكان لأزمات سياسية و اجتماعية حادة هددت الدولة و المجتمع معا، لم تطرأ عليه محاولات التحديث على عكس التحولات السياسية و الاقتصادية التي كانت تمر بها الدول الأوروبية، و بالتالي يحمل المسؤولية التاريخية للسلطة الحاكمة و الرعية معا.

و لكن بمقابل ذلك تعتبر هذه الحقبة فترة مفصلية في تاريخ الجزائر بالنظر إلى الفراغ السياسي الذي سبق الحكم العثماني و كذلك بالنظر إلى المنحى السياسي و الاقتصادي و الاجتماعي للبلد في ظل الاحتلال الفرنسي ، فبفضل الوجود العثماني في الجزائر تشكلت نواة الدولة الجزائرية الحديثة و تبلورت أسسها و معالمها الأساسية من الرقعة الجغرافية و العملة و الراية و السيادة و العلاقات الدبلوماسية ، و توثقت وقتئذ أواصر ارتباط الجزائر ببقية البلاد العربية و الإسلامية ، و رغم مساعي فرنسا أثناء الاحتلال لقلع الشخصية الوطنية من جذورها إلا أن منطويات الفترة العثمانية قد أكسبت الجزائر المناعة و مكنتها من الصمود أمام مشاريع التفكيك و المسخ الاستعمارية ، هذا يعد في نظر أبي القاسم سعد الله من إفرازات الحكم العثماني في الجزائر. و كذلك يعتبرها من تجليات أصالة الهوية الجزائرية .

و قد حاول أبو القاسم سعد الله الدفاع عن آرائه بخصوص ازدواجية مواقفه و تقييمه لأوضاع الجزائر في العهد العثماني في المجال السياسي و الاقتصادي و الاجتماعي من خلال نقد الفساد السياسي و الإداري مع رفض إسقاط مفاهيم و مصطلحات الفترة المعاصرة على الفترة الحديثة .

تمهيد:

يعد أبو القاسم سعد الله أحد أبرز أعلام الفكر و الثقافة و الأدب في الجزائر، و أحد رواد المدرسة التاريخية الجزائرية، و نظرا لسعة المعالجة التي خصها للمسألة الثقافية في الجزائر ، خاصة في الفترة الحديثة فقد أمسى اسمه مقرونا بتاريخ الجزائر الحديث و المعاصر بحيث عالج القضايا الثقافية ذات الصلة بالجزائر في العهد العثماني و بلور إشكالاتها و عكف على تحليلها ،خاصة ما تعلف منها بأوضاع التعليم و التصوف و الأوقاف.

و يرى أن الوضع الثقافي وثيق الصلة بنظام الحكم، فمن خلال تناوله لمختلف العلوم الدينية السائدة كالتفسير و القراءات و الحديث و الإثبات و الإجازات و الفقه و النوازل و الفتاوى و الأحكام و الفرائض و السيرة النبوية، و كذلك المرافق و الوسائل و الموارد القائمة في قطاع التعليم، و رغم محاولته إثبات مدى فعاليتها و حركيتها ، غير أنه لاحظ قلة التجديد و سيادة التقليد ، زيادة عن سيطرة العلوم الدينية و الصوفية و الأدبية ، و من ثم سيطرة العلوم الدينية على الحياة الفكرية للجزائر العثمانية، على خلاف الاتجاه النهضوي و التحديثي الجاري حينئذ في أوروبا و التحولات التدريجية الناتجة عنها على مستوى موازين القوى. و تطرق إلى المنزلة التي أنزلتها السلطة الحاكمة رجال الصوفية و تقلب أدوارهم و الفساد الذي حل بهذا المجال، و تتبع أيضا قطاع الأوقاف الذي تباين وضعه و دوره،غير انه لم ينأ عن الفساد الذي مس الدولة و المجتمع.

و بناء على مفهوم الثقافة باعتبارها مختلف أشكال التطور الفكري و الروحي و الجمالي في المجتمعات ومدى تطابق هذا المفهوم مع واقع المجتمع، فإن المسألة محل البحث هي ما مدى الفعالية الثقافية للجزائر في العهد العثماني و إلى أي حد عكست البنية الثقافية الفعلية للمجتمع الجزائري حقيقة و طبيعة نظام الحكم العثماني في الجزائر حسب تحليل أبي القاسم سعد الله؟

المبحث الأول:التعليم:

إن السمة الغالبة للتعليم في الجزائر خلال العهد العثماني هي العشوائية، لعدم وجود خطة لتطوير التعليم ، و قيام التعليم على الصدفة و رغبة الأفراد و مشاعرهم الدينية و قدراتهم فالتعليم مرهون على حد تعبيرأبي القاسم سعد الله بالمشاعر و النزوات، أي المبادرات الفردية و غياب رؤية رسمية تأخذ بالدراسة و المعالجة الشروط و المتطلبات الموضوعية للقطاع و لعل أهم ما يدل على ذلك هو عدم قيام مشروع جامعة قادرة على تنمية و تجذير قيم التربية و التعليم على غرار جامع الزيتونة أو القرويين أو غيرها [1].

و مما يؤكد وجهة نظر أبي القاسم سعد الله ما عاينه الرحالة الإنجليزي توماس شو في القرن 18عندما أقر بالإرث العلمي الذي زخر به المسلمون بمافيهم الجزائريين في مجال الفلسفة و الرياضيات و الطب و غيرها، و تفوقهم في هذا المجال سابقا، لكن الحكام الأتراك و ما عرفوا به من طباع حادة و انحصار اهتمامهم بمصالحهم الخاصة قد حال دون توليتهم أدنى اهتمام أو اعتبار للعلم، و هو ما أدى في تقديره لاختفاء العلوم و الطب و الفنون[2].

و من خصائص التعليم أيضا هو أن مفهوم التعليم ذاته الذي يقوم على الترابط و التلازم بين طلب العلم و الالتزام الديني ، فالهدف من التعليم هو خدمة الدين، و بالتحديد لحفظ القرآن الكريم و التفقه في العبادات و المعاملات و حماية الآداب العامة و الصحة و تنمية الأخلاق العامة، بل أن تعليم اللغة العربية ذاتها كان لغرض معرفة الدين و خدمته ، و على

[1]–أبو القاسم سعد الله :**أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر** ، ج5، المصدر السابق،ص190

2–Thomas Shaw ,**voyage dans la régence d,Alger au 18me siècl**e ,traduit par E.MacCarthy(1830),grand Alger livres édition , Alger , Algérie ,2007,PP78–79

الرغم من الأهمية التي انطوى عليها هذا الاتجاه إلا أن عدم إحاطته بشؤون الدنيا من الحرب و السلم و الاقتصاد و الاجتماع و العلوم جعل منه تعليما بدائيا و جامدا[1] .

و من غير الممكن الحديث عن الحياة العقلية في الجزائر في الفترة الحديثة كونه حسب أبو القاسم سعد الله عهد الجدب و القحط ، و هو أمر لم يقتصر على الجزائر بل مس كل أقطار العالم الإسلامي[2] .

و لكن على خلاف هذا الرأي، فإن عددا من علماء الجزائر و غيرهم في العهد العثماني، تشير إلى بعض مظاهر النشاط و الإبداع في هذا المجال، و منها إشادة أبوراس الناصري بجهود بعض الحكام لتنشيط التعليم و الثقافة من خلال صيانة المساجد و المكتبات قائلا "... و قد بناها الملك الأصفى، و الخليل الأوفى....السيد الباي مصطفى ...الذي عرف فضله الإسلام...بنى الله لك بيتا في الجنة ، كما بنيت لنا بيت الكتب بلا أذى و منة.." و قال أيضا في الباي محمد بن عثمان لما صان تلك المكتبة" ...و لما أردت تجديد تبييضها و ترميمها و تقييضها ذكرت ذلك للباي الأسعد الأقعد الأمجد..عزيز النصر ، و نخبة العصر ...الباي محمد بن عثمان ...فبعث لي مع ساقيه مائة ريال بوجوهها ، قامت أوفر إقامة بترميمها و تبييضها.."[3]

على الرغم من انعكاسات الاضطرابات و الحروب التي عرفها المغرب الأوسط خلال القرن 15م على الحياة الثقافية فإن بعض المدن احتفظت في مجال التعليم على شرارات كامنة كمدينة الجزائر و تلمسان و مازونة و بجاية و قسنطينة و عنابة ، غيرأن التعليم السائد حينئذ قد غلب عليه الطابع النظري و اقتصر على أيضا على العلوم الدينية و علوم العربية بالإضافة إلى سطحية التعليم و قلة الموارد و ضعف الأساتذة [4] .

---

[1]– أبو القاسم سعد الله :**أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر** ، ج5، المرجع السابق،ص،ص190–191

[2]– أبو القاسم سعد الله : **أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر** ، المرجع نفسه ،ج3،ص185

[3]–محمد أبو راس الناصري الجزائري: **فتح الإله و منته في التحدث بفضل ربي و نعمته**، تحقيق و ضبط و تعليق محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ،1986 ، ص ،ص 73–74

[4]– أبو القاسم سعد الله: **أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر** ، ج1، المرجع نفسه، ،ص،ص46–47

و من بين الحواضر التي لم ينقطع فيها التعليم و الأكثر نشاطا تلمسان ، التي كانت تضم ثمانون ألف نسمة قبيل الحكم العثماني و ضمت إلى أواخر القرن 15م ستون جامعا و خمس مدارس ، و تشكل مجتمعها من الحرفيين و التجار و العلماء و الجيش، و لم تتمكن من الاحتفاظ بمكانتها تلك جراء تعرضها للهجوم الاسباني حينا و العثماني حينا آخر ، و كثرت الأطماع حوله، و ساده القتل ، و ظلت طيلة القرون الثلاثة مسرحا للثورات ، ففقدت الأمن و تدهور اقتصادها، و هجرها التجار و العلماء، و لعل من بين أعرق الأسر و البيوتات العلمية التي خرجت من تلمسان إلى المغرب الأقصى أسر الونشريسي و المقري و المرازقة و العبادي و كل هذه الظروف أدت على خراب مؤسسات التعليم في تلمسان[1].

و على غرار تلمسان فمن بين الحواضر التي تأثرت بنفس العوامل وهران، التي تميزت بنشاط تعليمي أكثر ضآلة و محدودية بسبب تعرضها المبكر للاحتلال الاسباني و طول مدته (1505–1717) ثم استردها الإسبان ثانية(1805/1767)، فهجرها المسلمون و لم يبق فيها إلا القليل منهم، و لم تضم سوى جامع البيطار و جامع الصخرة، فضعف الوجود العثماني فيها قد جعل من التعليم فيها شبه معدوما [2].

و على عكس تلمسان و وهران تعد مازونة و رغم عدم استقرار الأوضاع بها أفضل حواضر الغرب الجزائري نشاطا في مجال التعليم. و السبب الأول اتخاذ الباي محمد الكبير للمدينة عاصمة لبايلك الغرب، الذي عرف بإصلاحاته المختلفة و جهوده في قطاع التعليم ببناء و صيانة المساجد و المدارس و رعايته و تشجيعه للطلبة و العلماء[3]، الذين أجزل لهم العطايا استرضاء لهم و دفعا لهم لبث العلم و نشره ، و الذي وفق بين الجهاد و التعليم [4]، و لكن الملاحظ هو طبيعة التعليم الذي كان تعليما دينيا يغلب عليه الطابع الصوفي [5]. و مع ذلك أحدثت إصلاحاته تلك في الأربعين سنة الأخيرة من الحكم العثماني في الجزائر نهضة تعليمية

---

[1]– أبو القاسم سعد الله :**أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر** ، المرجع السابق ، ج5، ،ص175

[2]– أبو القاسم سعد الله : **أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر**، المرجع نفسه،ج1، ص176

[3]– أبو القاسم سعد الله : **أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر** ،المرجع نفسه ، ج5،ص 176

[4]– أبو القاسم سعد الله :**أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر** ، المرجع نفسه ،،ج4 ،ص ، ص 188–189

[5]– أبو القاسم سعد الله : ، **أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر** المرجع نفسه ،ج5، ص176

ملموسة و استجابت لبعض الأفكار التنويرية للعلماء الجزائريين الذين وقفوا على التجربة الأوروبية،غير أن هذه النهضة سرعان ما أجهضها الاحتلال الفرنسي من خلال السياسات المنتجة ، خاصة الثقافية منها [1].

و نشطت في وسط البلاد نسبيا أيضا المدن التي حل بها الأندلسيون ، مثل شرشال و تنس و مليانة ، التي برزت فيها بعض الزوايا ، و أبرزها زاوية الشيخ أحمد بن يوسف الملياني و زواية مجاجة [2].

و تميزت مدينة الجزائر كونها عاصمة الإيالة بالتطور التجاري و التعليمي، و بلغ تعداد سكانها في بداية القرن 16م قرابة ثمانية عشر ألف نسمة و أرتفع إلى مائة و عشرون ألف نسمة في أواخر العهد العثماني، و ضمت فئات اجتماعية ميسورة الحال من الحضر و الأتراك و الأندلسيين ، و بلغت من النشاط التجاري و العمراني ما دفع احد الرحالة التمقروتي إلى وصفها باسطانبول الصغرى، و قد تميزت بكثرة المرافق التعليمية التي تمثلت في الجوامع السبعة و المساجد المائة و سبعة و الكتاتيب [3]. و قد ذكر أبو القاسم الحفناوي أن المدينة لم تخلو من "قراء نجباء و علماء أدباء ، و أعلام خطباء ، مساجدهم بالتدريس معمورة و مكاتب أطفالهم بالقراءة مشحونة و مشهورة..."[4]

و في الشرق الجزائري برزت قسنطينة أكبر مدن الجزائر الداخلية ، سكانا و نشاطا في العهد العثماني، انتزعها العثمانيون من الحفصيين انتزاعا سنة 1526 و بلغ تعداد سكانها مائة ألف نسمة ن عفت بصلتها التجارية و الثقافية بتونس ،إذ كانت الزيتونة تستقطب شباب المدينة الذين انهوا تعليمهم فيها .و ضمت خمس جوامع لصلة الجمعة ، و مدارس كثيرة يقصدها الطلاب من الضواحي و القرى المجاورة، الذين لقوا العناية للإقامة و طلب العلم من قبل

---

[1]– أبو القاسم سعد الله: **أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر** ، المرجع، نفسه ج5 ، ص192

[2]– أبو القاسم سعد الله : **أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر** المرجع نفسه ، ج5، ص176–189

[3]– أبو القاسم سعد الله : **أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر** المرجع نفسه ،ج5،، ص،ص177–178

[4] - ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي البوعبدلي، **الجزائر في التاريخ**، الجزء4، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1984،صن135

العائلات العريقة و الأوقاف المحبوسة للتعليم [1]. غير أنها قد تعرضت للتدهور الثقافي في القرن18م ،و يمكن أن نستشف ذلك مما قام به "صالح باي" سنة 1770م لإحياء التعليم في المدينة " ...و لما وقع التقصير من وكلاء مساجد قسنطينة و لم يكن لهم اعتناء بشأن الأوقاف و فرطوا في ذلك غاية التفريط ،و ضاع الكثير لعدم اعتنائهم بشأنها و لم يبحثوا عن ذلك و تعطل بعض المساجد بضياع أوقافها...و صار البعض منها مربطا للدواب، و البعض غلقت عليه الأبواب ، و آل أمره إلى الخراب..."[2]

و يعد صالح باي احد ابرز الحكام المحليين الذين أسهموا في إصلاح و تنشيط حركة التعليم في أواخر القرن 18م ،إذ عرف باهتمامه بالكتب و التعليم و تنظيم شؤون الرعية الدنيوية و الدينية،و ساعده في ذلك طول مدة حكمه، وعرف بتبجيله للعلماء و حرصه على رعاية المتعلمين و تنظيم الأوقاف ، و قد اكسبه ذلك مكانة خاصة في قلوب العامة و الخاصة من الناس ن و من انجازاته إحصاء الدارس و المساجد و الأوقاف و المكتبات،و إنشاء مجلس علمي للمحاسبة لوكلاء على مداخيلهم و نفقاتهم ، بالإضافة لبناء المساجد و المدارس كما خصص منحا للطلبة خاصة للقادمين من الأرياف، وإرسال الطلبة المتخرجون في قسنطينة لتكملة الدراسة في تونس [3].

و إلى جانب قسنطينة برزت عنابة كثاني مدينة في الشرق الجزائري في التجارة و التعليم و قد انفردت بقوة نشاطها التجاري مع الإمارات الايطالية خصوصا و الدول الأوروبية عموما تصديرا و استيرادا ، و بلغ تعداد سكانها عشرون ألف نسمة ، و قد اثر الوضع الاقتصادي إيجابا على التعليم ، و بروز بعض الأسرة العلمية كأسرة البوني و ابن العنابي ، واشتهرت فيها الطرق الصوفية ، وبرزت المساجد و المدارس و الكتاتيب و الزوايا و العلماء والصلحاء [4].

---

[1]– أبو القاسم سعد الله :**أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر** ،ج5 ، المرجع السابق ، ص،ص178–179

[2]- ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي البوعبدلي، **الجزائر في التاريخ**، الجزء4، المرجع السابق، ص137

[3]– أبو القاسم سعد الله: ، **أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر**، المرجع نفسه، ج5،ص 185

[4]– أبو القاسم سعد الله : **أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر** ، المرجع نفسه ،ج5،ص 179

كانت بجاية إحدى أهم حواضر العلم في الشرق الجزائري كونها عاصمة الدولة الحمادية سابقا،و ازدياد وزنها بعد استقطابها للأندلسيين بعد 1492م، غير أ تعرضها للاحتلال الإسباني سنة1510م قد أدى إلى هجران سكانها لهاو في مقدمتهم الأسر العلمية المعروفة بها كعائلة الغبريني و ابن خلدون و الثعالبي و المشدالي و انتقال الكثير منهم إلى قسنطينة و تونس و تعرضت أثناء الاحتلال الاسباني للتدمير و لم يبق منها إلا القليل من البيوتات و قلعة صغيرة بعدما كانت تضم أكثر من ثمانية عشر ألف نسمة، و لهذا أمست بجاية أقل حركية وفقدت وزنها العلمي و التجاري إلى غاية عشية الاحتلال الفرنسي رغم تواجد بعض المدارس و المساجد و الزوايا و المتعلمين .

و في الجنوب الجزائري تأتي مدينة بسكرة في صدارة مدن الصحراء الأكثر حيوية غير أنها سرعان ما فقدت قيمتها الثقافية و الاقتصادية بسبب استحواذ السلطة العثمانية على أوقافها و مدارسها و تحويلها إلى مصادر استرزاق للأتراك و ملكيات لهم ظلما و عدوانا، زيادة عن سوء العلاقة بين سكانها و الحامية العثمانية ، مما عرضها للغارات و النهب من قبل العدو و الأتراك، و حمل علمائها على مغادرتها.

لقد انحصر دور السلطة الحاكمة في التعليم في الجزائر برصد الأوقاف لهذا القطاع لصيانة المساجد و مساعدة الطلبة و الغرباء و إرضاء رجال الدين ، و قد شجعوا على نشر التعليم بين الأطفال، و تميز التعليم بسيادة العوم الدينية ، فكان تعليما دينيا بالدرجة الأولى و المتمثل في تحفيظ القرآن الكريم و كذلك تعليم الكتابة و القراءة و الحساب و الإنشاء و حفظ المتون الفقهية و النحوية و العروضية ، و بالنسبة للتعليم الثانوي و العالي فكان يعتبر أمرا كماليا تتكفل به المساجد الكبيرة و المدارس التعليمية و الزوايا ، في معسكر و مازونة و قسنطينة و مدينة الجزائر و مجاجة و الحضنة و زواوة، و أما المؤسسات التعليمية الجامعة فإن الطالب الجزائري لم يجد من يلبي عرضه ، مما دفع إلى الهجرة و طلب العلم في الزيتونة في تونس وغيرها من الجامعات العربية و الإسلامية ، إذ لم تهتم السلطة الحاكمة البتة بهذا

المجال ، و يعتبره أبو القاسم سعد الله من أكبر نقاط الخلل في نظام التعليم العثماني في الجزائر دون أن تحاول احتواء نقائصه أو معالجته طيلة فترة وجودها في البلاد[1] .

إن المتتبع لدور العلماء في تلك الحقبة يرى أن دورهم كان ينحصر في الضغط على السلطة الحاكمة للحصول بدورهم على منافع طبقية على غرار الفئات الأخرى ، او التعبئة للجهاد خاصة في بايلك الغرب ضد الإسبان ، أو لتهدئة الأوضاع و إخماد الثورات الداخلية التي تهدد مصالح الحضر و عامة و العلماء و رجال الدين خاصة، و إن دل ذلك على شيء فإنما يدل على طبيعة البنية الاجتماعية و الثقافية السيئة للمجتمع و الدولة معا ، مما أثر على دور و فعالية رجال الدين و العلماء الذين انحصر دورهم في المنافع الذاتية الضيقة، و هذا حد من تأثيرهم و حال دون إحداث تغيير و إصلاح للأوضاع القائمة و كرس الجمود[2].

إن اعتبار العلماء و المعلمين فئة ثانوية في المجتمع و الدولة من قبل الفئة الحاكمة قد دفع بهم إلى الجنوح إلى الزهد و الابتعاد عن السلطة أكثر و الانعزال عن المجتمع ، و كذلك التأليف في المناقب و التصوف في الوقت الذي طغى فيه الظلم و قل فيه العم و برز فيع علماء السلطة ، و يعتبر ابو القاسم سعد الله ذلك موقفا سلبيا منهم ضد الحكام العثمانيين و عزوف منهم على مواجهة الظلم و الجهل .

و رغم الفجوة القائمة بين السلطة الحاكمة و العلماء إلا أن عددا لا يستهان به منهم كانوا مواليين و متعاونيين مع الحكام و ولتهم وظائف الإفتاء و القضاء و مشيخة الإسلام، و من أبرز تلك العائلات الأندلسية نجد عائلة ابن نكرو، و الكبابطي، و ابن جعدون ، و ابن ميمون،و ابن الأمين، و من الأسر المحلية نجد عائلة الفكون، و ابن عبد المؤمن، و ابن باديس ، و المقري ، و البوني . و بالمقابل ثمة عدد من العلماء الذين اختلفوا مع السلطة و اضطروا بسبب عدم استيعابهم في البداية رسالة العثمانيين ثم سوء العلاقة معهم إلى الهجرة إلى المغرب الأقصى أو المشرق بحثا عن الأمن و حياة أفضل[3].

---

[1]– أبو القاسم سعد الله ،**أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر** ، ج5، المرجع السابق،ص 174–181

[2] – أبو القاسم سعد الله :**أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر** ، ج5، المرجع السابق،ص191

[3]– أبو القاسم سعد الله : المرجع نفسه ، ج5، ص ،ص182–184

و على خلاف الصنفين السابقين من العلماء و هم الموالون العاملون مع السلطة و الذين هاجروا البلاد ثمة صنف ثالث و هم قلة ممن احتج على المظالم المرتكبة من قبل الانكشارية أو قبائل المخزن و المشيخات المحلية ،كما انتقدوا العلماء و الفقهاء و الزهاد و رجال السلطة الذين فضلوا الدنيا على الآخرة ، و برز من خلال هؤلاء ابن مريم و ابن سليمان الجزولي و عبد الكريم الفكون و الحسين الورتلاني[1].

لقد أصبح شغل الشاغل للقائمين على المدارس و الزوايا البحث عن الأتباع و استقطاب المتعلمين ليس خدمة للتعليم و الرفع من مستواه و الإسهام في تطوير الحياة الفكرية بل بحثا عن لقمة العيش ، و مماينم عنهذا الاتجاه هو غياب سياسة تعليمية قادرة على خلق أجواء الاجتهاد و البحث، و حال دون توفير الحرية و الدافعية للتحليل الحر و العقلاني لمختلف المسائل الدينية و العصرية ، فارتكز نشاط العلماء على ما اصطلح عليه أبو القاسم سعد الله "...بالشقشقة اللفظية و الاكتفاء بالفروع دون الأصول..."[2]

و من مظاهر التخلف الثقافي بعد ركود و تراجع المؤسسات العلمية المركزية عن أدوارها إذ تحولت من مركز جهادي و ثقافي إلى مركز للخرافة و الشعوذة و العزلة و الإعراض عن شؤون الحياة ، و رغم بروز بعض المحاولات لبعض المثقفين للجمع بين ثقافة العلماء الأوائل و ثقافة عصرهم إلا أنهم كانوا مجرد مقلدين و لم يحولوا تلك المعارف و ذلك التراث الثقافي من إطاره النظري إلى ممارسة في الواقع ، و بالتالي لم يتمكنوا من الربط بين العلم و الحياة، و مما زاد الأمر سوء أن الذين تصدروا للنشاط الثقافي لم يقلدوا المتقدمين الأوائل ، بل قلدوا المتأخرين و بالتالي قلدوا الفروع بدل الأصول [3].

و من العوامل التي أضعفت التعليم حسب تحليل أبي القاسم سعد الله انتقال السلطة المركزية للبلاد إلى مدينة الجزائر التي كانت مجرد ميناء صغير على خلاف ماكان عليه القطاع قبل 1519م و المتمثل في وجود مؤسسات مستقرة و هيئة تدريس ثابتة في المدن

---

[1]- أبو القاسم سعد الله : **أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر** ، المرجع السابق ، ج5،ص 185

[2]- أبو القاسم سعد الله : المرجع نفسه، ج1،ص49

[3]- أبو القاسم سعد الله : المرجع نفسه، ج3 ،ص،ص186-187

الأخرى كقسنطينة و تلمسان و غيرها ن مما خلخل منظومة التعليم تلك فضلا عما انطوت عليه أصلا من نقائص و هشاشة، فأصبح التعليم جراء ذلك في حالة من الإهمال و الشلل و حتى و عن توفرت الإرادة السياسية فإن عملية بعث القطاع كان يتطلب وقتا طويلا كي تتبلور الرؤية الثقافية، و لكن هذا ما يحدث لأن كل الجهود قد ارتكزت على المجالين العسكري و السياسي فقط .و رغم نقل العاصمة إلى مدينة الجزائر فقد عجزت السلطة على دمج أطراف البلاد و تحقيق وحدة فكرية، و انطبع المجتمع جراء ذلك بالطابع العسكري للعثمانيين و الطابع الريفي لسكان الجبال و البوادي [1].

إن سلبيات الحكم العثماني حسب سعد الله أظهر ما تكون في المجال الثقافي ،و منها عدم استعمال الحكام للغة البلد و عدم تذوق الأدب الجزائري ، فهم مقطوعي الصلة بالعلماء وكتب و تراث الجزائر و لا يمتون صلة به لا عاطفيا و لا عقليا ، و هذا ما يفسر حسبه السبب الأساسي لعدم تشجيع العثمانيين العلماء و الشعراء على الإنتاج، و انحصرت المبادرات القائمة وقتئذ في القصور و البلاطات الحكام و بشكل جد محدود،و التي لم تعرف أيضا المجالس العلمية و المناظرات القادة على إبراز القضايا الفكرية و الخلافات المذهبية [2].

وإلى جانب ظاهرة التلازم بين التعليم و الدين كان التعليم من المسائل التي تخص الأهالي و لا دخل للحكومة فيها ، و هي حالة موروثة تعود إلى ما قبل مجيء العثمانيين و اكتفى العثمانيون بدورهم في رصد الأوقافللتعليم دون التدخل فيه، و من مظاهر عدم التكفل بالتعليم اضطرار الطلبة الجزائريين الراغبين في مواصلة التعليم بعد الطور الثانوي إلى الهجرة إلى الجامعات العربية و الإسلامية ، إذ لم تكلف السلطة الحاكمة نفسها عناء تطوير و إصلاح التعليم [3].

و من الظواهر السلبية التي طغت على التعليم سعي العلماء للجمع بين عدة علوم و التفاخر بذلك أمام الآخرين ، و المتتبع لعلماء تلك الفترة يجد جمعهم بين علوم النقل و العقل

---

[1]– أبو القاسم سعد الله :**أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر** ، ج5، المرجع السابق، ص191

[2]– أبو القاسم سعد الله : المرجع نفسه ،ج1،ص18

[3]– أبو القاسم سعد الله : المرجع نفسه ، ج5،ص174

و علوم الظاهر و الباطن، و لكن الممحص لأعمالهم تلك يجدها عبارة عن أخذهم من كل علم بطرف و بثها في كتاباتهم، مع التوسع فيها بحشوها بالطرائف و النوادر و الأخبار و الحكايات و الاستطرادات المختلفة، و العالم الذي لا يثبت هذه المواصفات لا وزن و لا مكانة له في المجالس[1].

و إلى جانب ظاهرة الحشو و الاستطراد و الجمع بين أطراف العلوم و التفاخر بها في المجالس، انتشرت ظاهرة الحفظ و التباهي بها إلى درجة حفظ البعض منهم كتبا برمتها [2].

و لكن بقدر ما توحي إليه تلك الظواهر من سلبية بقدر ما تعبر عن إحدى أوجه التفاعل الثقافي، إذ انتشرت في تلك الحقبة ظاهرة المناظرة ، و التي تعتبر من ضروب النقد و الاجتهاد ، و كذلك تصادح الآراء و تلاقح الأفكار، و في هذا السياق يقول أبو راس الناصري عندما زار مدينة الجزائر"... فلقيت بها الفقيه المسمى الشيخ القاضي المفتي السيد محمد بن جعدون، فقال لي من هو شيخك؟ قلت المشرقي، قال لي لا نظير له في تحقيق الكبرى...و جمع العلماء علي ، و تمادوا و سألوني أسئلة صعاب عظيمة ، فتفاوضنا مفوضة كبيرة إلى قرب الفجر... و رفعوا لي قدري ، و بجلوا أمري.." و عندما حل بقسنطينة قال"..نزلت على محط رحال الأفاضل ، و منبع الفضائل و الفواضل، عالم تلك الدرة و عاملها ، و صالحها و ناصحها ...العلامة السيخ سيدي محمد بن الشيوخ...منهم القطب الكبير ، الغوث الشهير ، السيد عبد الكريم محمد الفكون...عالم قسمطينة و صالحها و كبيرها و مفتيها..."[3]

إن أهم ما يدل على الانحطاط السياسي للجزائر في هذا العهد هو فساد الحكام و جهلهم لمسؤولياتهم و واجباتهم، فرغم إدراكهم لأهمية الطب و حاجة المجتمع لهذه الخدمة ، إذ اتخذ جل الحكام أطباء لهم و أكثرهم أوروبيون إلا إنهم لم يبادروا إلى إنشاء المدارس و رعاية تدريس

---

[1]– أبو القاسم سعد الله : **أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر** ، المرجع السابق ،ج1،ص21

[2]– أبو القاسم سعد الله: ، **أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر**، المرجع نفسه ، ج1، ص21

[3]– محمد أبو راس الناصري الجزائري، **فتح الإله و منته في التحدث بفضل ربي و نعمته**، المصدر السابق،ص،ص89-96

هذه العلوم و تطويرها ، و الذين اضطلعوا بتدريس الطب والفلك و الحساب ينحصرون في إطار المبادرات الخاصة ، و بذلك استخدم في هذا المجال مصطلح التخلف العلمي [1].

إن العلاقة التي ربطت بعض علماء الجزائر بعلماء و أعيان الدولة العثمانية لم تكن محصورة في المجال الثقافي و العلمي المحض ، بل ثمة أبعاد و أوجه سياسية لهذه الصلات و من أمثلة ذلك تولي العالم أبو الربيع سليمان الأوراري قيادة وفد جزائري على اسطانبول بأمر من الأوجاق(1627) ، و حسب عبد الكريم الفكون فالغرض من البعثة هو تحقيق مآرب و مصالح الأوجاق ، وقد أكدت مصادر أخرى أن أكثر البعثات كانت لإغراض سياسية أكثر منها ثقافية [2].

إن انعكاس الاضطرابات السياسية في الجزائر على الميادين الأخرى ، خاصة الثقافية كان جليا، فإلى جانب إحجام الحكام عن العلماء القليلين الذين مكثوا في البلاد و لم يهاجروا و إغلاق البلاطات في أوجههم ، لقي هؤلاء العلماء أيضا إعراض عامة الناس عن منتوجهم بسبب غياب المتعلمين [3].

و يمكن أيضا التماس تداعيات الفتن و الحروب التي مست المدن الرئيسية أولا ثم الأرياف ثانيا بشكل اكبر هجرة العلماء و المؤدبين و أهل الأدب و الثقافة إلى الخارج بحثا عن الأمن و فرارا من الفتن و الجور [4].

لقد عاش علماء الفترة الحديثة عهد الفراغ العلمي على حد وصف أبي القاسم سعد الله و كان أكثرهم مقلدا لعلماء العهد الزياني و الحفصي ماعدا القلة القليلة كأمثال عبد الرزاق ابن حمادوش، و برز العلماء المقلدون و كادت أن تختفي أسماء العلماء المبدعين في اختصاصهم

---

[1]– أبو القاسم سعد الله : **أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر**، المرجع السابق، ج3، ص187

[2]– أبو القاسم سعد الله :**أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر** ، ج3، المرجع نفسه،ص200

[3]– أبو القاسم سعد الله : **أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر** ،المرجع نفسه، ج3،ص186

[4]– أبو القاسم سعد الله : **أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر** ، المرجع نفسه، ج5،ص172

سابقا، و يمكن التماس دور هؤلاء جميعا في عدم انطفاء جذوة العلم دون سقوط راية العلم نهائيا و دون رفعها على حد تعبير أبي القاسم سعد الله [1].

و بصرف النظر عن ما يدعيه المتصوفة و الدراويش من الكرامات و علم الغيب فقد عرف الكثير منهم بسعيهم في أزمنة الفتن للصلح و التهدئة ، و محاولة وعظ القادة و دعوة كبار القوم و الفقهاء لأداء واجبهم لتهدئة العامة و نشر و تثبيت الأمن[2] .

و على الرغم من العلاقة الحسنة التي تربط السلطة الحاكمة بمختلف الفئات التي تشكل مجتمع المدن من الحضر و الأندلسيين و اليهود و الأتراك ، إلا أن الملاحظ أن فئة العلماء و رجال التعليم و الدين لم تكن علاقتها بالسلطة بنفس الدرجة و الانسجام و التقارب رغم جهود الحكام العثمانيين لكسب الأسر العلمية المتنفذة في المدن أو العائلات العلمية الفارة من المغرب الأقصى بالإغراء أو التهديد.

و من العوامل التي باعدت بين العلماء و السلطة الحاكمة اختلاف اللغة بحيث وقفت حائلا بين الطرفين، بل اعتبره أبو القاسم سعد الله السبب الأكبر لنفور العلماء عن هؤلاء الحكام [3].

و يرى أن عجز علماء الجزائر عن كسب قلوب الحكام العثمانيين بلغة الأدب و الدين اعتماد هؤلاء على اللغة التركية دون العربية ، أو بسبب كون أغلبهم غير متعلمين أو يتكلمون لغات البحر المتوسط دون التركية ذاتها ، بالإضافة إلى لجوء السلطة الحاكمة في الجزائر إلى استقدام العلماء و القضاة الأحناف لتغطية احتياجات العنصر التركي ، و هذا ما يفسر حسبه وجود عائلات جزائرية من أصول عثمانية أو ألبانية مثل عائلة ابن رجب شاوش و ابن العنابي و ابن علي و شكيكن.

و تميزت السياسة العثمانية في الجزائر وعلى غرار بقية الولايات العربية الأخرى التابعة لها بعدم التدخل في الشؤون التعليمية و الثقافية، و حسب أبو القاسم سعد الله كونه أمر

---

[1]– أبو القاسم سعد الله : **أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر**، المرجع السابق ، ج3،ص4،ص187–193

[2]– أبو القاسم سعد الله : **أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر**،المرجع نفسه ، ج3، ص225

[3]– أبو القاسم سعد الله : **أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر**، المرجع نفسه، ج5، ص182

توارثه العثمانيون على الذين تولوا زمام البلاد الإسلامية من الخلفاء و الأمراء،إذ اقتصر دور الحكام في هذا المجال على المبادرات الشخصية ، من تقريب لعلماء و أهل العلم و الشعراء و الأدباء و بناء بعض المرافق العلمية وغيرها ، و لكن بطريقة شخصية ، و هو نفس ما فعله العثمانيون في الجزائر، علما أن العصر عصر ضعف و تخلف للعالم الإسلامي برمته و يرى أن وزر التخلف لا تتحمله السلطة الحاكمة لوحدها في الجزائر، فللرعية و أهل البلاد دور كبير في ذلك ، طالما أن السلطة الحاكمة لم تمنع النشاط الثقافي على الجزائريين بأي شكل من الأشكال[1].

لقد طغى البعد السياسي و الاقتصادي و العسكري على السلطة العثمانية في الجزائر و لم يكن فيه أي أثر أو تأثير للثقافة و الأدب و الفن و لم تكلف نفسها عناء تغيير أمر وجدوه قائما و هو تولي السكان شأن التعليم و الثقافة بأنفسهم تنظيما وتمويلا[2].

و لم يمنع الطابع العسكري و الإداري لنظام الحكم العثماني في الجزائر طيلة القرون الثلاثة (1519-1830) و كذلك عدم الاضطلاع بشؤون التعليم من قيام تواصل علمي بين اسطانبول و الجزائر ، و من مظاهره قدوم عائلات علمية إلى الجزائر و استقرارها و اندماجها فيها على غرار عائلة ابن العنابي و محمد بن علي و ابن المفتي ، و بالمقابل ثمة عائلات علمية جزائرية رحلت إلى اسطانبولبحثا عن الجاه أو لأداء مهمة رسمية ، و منها حالات الإبعاد و النفي ، و من نماذجها يحي الشاوي التائلي و يحي المنقاريو احمد المقري و عيسى الثعالبي ومحمد الشريف[3] .

إن إسهام العثمانيين في تشكل عناصر الدولة الجزائرية الحديثة يعد من مكاسب الجزائر التاريخية للحقبة العثمانية، إلا أن تركتها الثقافية كانت مثقلة و سلبية، و تتمثل عموما في التشتت الثقافي بسبب الازدواجية اللغوية التي انتهجتها السلطة الحاكمة ، اللغة العربية لغتة

---

[1]- مراد وزناجي: المرجع السابق، ص124

[2] -أحمد بن يغزر : المرجع السابق، ص85

[3]- أبو القاسم سعد الله :**أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر** ، ج1، المرجع السابق ،ص،ص196-200

التعليم و الدين ، و اللغة التركية لغة الإدارة ، و أهم ما ترتب عن ذلك أن تحول التعليم بسبب التخلف إلى تعليم ديني ، أي ركز على العلوم الإنسانية دون العلوم العقلية. [1].

[1]– أبو القاسم سعد الله: ، **أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر**، المرجع السابق، ج1،ص09

المبحث الثاني:التصوف:

تميز المغرب الأوسط في القرن 15م بظهور و انتشار عقيدة المرابط و انتشار الزوايا و افتتاح عهد التصوف و التي ستزداد انتشارا في العهد العثماني ، و تفسر بالنتائج المترتبة عن ضعف الدولة و الانحلال الداخلي و الخطر الخارجي ، و ظاهرة التصوف كانت قد ظهرت في المشرق ثم انتقلت إلى المغرب العربي ، لكن الشيء الذي استجد في القرن 14م هو الاعتقاد بخوارق و بركات الشيخ و ما ابتدع من الحضرة و الأوراد ، و كذلك الالتفاف حول زاوية الشيخ أو ضريحه و التبرك به، و بمجيء العثمانيين ازدادت الظاهرة اتساعا و رسوخا و ازدهارا و تفريعا[1].

و كان الأتراك العثمانيين في تكوينهم الديني و النفسي و الحربي من أتباع الطرق الصوفية،و بالتحديد الطريقة البكداشية التي كانت مرجعهم و موجههم في الجهاد، يتبركون برجالاتها و يوالونهم و يخضعون لهم خضوع المريد لشيخه و العبد لسيده [2].

و مما ساعد أيضا على توثق الصلة بين السلطة الحاكمة والمرابطين و العلماء التفاف الجزائريين بخير الدين بربروس الذي بين له الأهالي منذ توليه زمام البلد سنة 1519م المكانة المقدسة التي يحظى بها هؤلاء المرابطون لديهم ، إلى درجة أنهم على استعداد لمقاتلة أصدقائهم و أقربائهم إذا ما تجرئوا على أوليائهم و لو بمجرد الاحتقار ،سواء كانوا أحياء أو أمواتا ، لهذا وضعت السلطة الثقة التامة فيهم و منحوهم الامتيازات ، و سمح ذلك أيضا بتوثق الصلة بين السلطة و السكان [3].

---

[1] – أبو القاسم سعد الله :**تاريخ الجزائر الثقافي** ، ج1، المرجع السابق ،ص48

[2]–عبد القادر خليفي: "**مقدمة في قراءة الطريقة الشيخية لأبي القاسم سعد الله من خلال كتابه تاريخ الجزائر الثقافي**"، مجلة عصور جديدة ، العدد 21–2016،22،ص242

[3]- حمدان عثمان خوجة، **المرآة**، تق تع تح محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر ،ط،1982،2،ص،ص110–111

تعد فترة1518و1689م فترة بروز و اندماج و تحول للحركة الصوفية في الجزائر،إذ سمحت ظروف الصراع حول السلطة في هذه الفترة من ولوج الصوفية مجال الحكم ، لما حصلت عليه من رعاية، خاصة في عهد "صالح رايس"1552-1557م، كما تمثل فترة1525و1620م فترة التنظيم و التوحيد للمتصوفة في الجزائر للتبشير و الدعوة للحركة متماشين مع توسع الدولة في تنظيماتها الإدارية و إقليمها الجغرافي، و برز أقطابها في منطقة القبائل و الحضنة و الجنوب،كما برزت الاتحادات و الإمارات الصوفية ،كإمارة كوكو ، و أولاد سيدي عبيد و ابن علي الشريف و سيدي مقران بمجانة ، و أولاد سيدي الشيخ التي توطد نفوذها في الجنوب الوهراني سنة1615م ، و مما زاد من تماسك الحركة الصوفية في المناطق المختلفة للبلاد إلى جانب مشروعها الدعوي مساعي السلطة العثمانية لاتخاذ هؤلاء المتصوفة وسيلة لبسط نفوذها في كل ربوع البلاد ، و قد شجع ذلك الدعاة و الأولياء على تبني الاتجاه الطرقي و الالتحام بالمتصوفة، فكثرت و عمت الطرق الصوفية البلاد[1].

لقد انتشر التصوف في المجتمع الجزائري و انحرف عن مفهومه و مدلوله الأصيل و أمسى ظاهرة في الفساد و الانحراف إلى درجة لم يعد في مقدور العقل الإنساني و في جميع مستوياته أن ينأى عن تأثير هذا المخدر حسب وصف أبي القاسم سعد الله[2].

تميزت الفترة العثمانية في الجزائر بكثرة بناء الزوايا ، البعض منها بني بإسهام من الحكام أنفسهم لغرض استعطاف الرعية ، خاصة في الأرياف،كما تم إنشاء الزوايا بالمدن ، بلغ تعدادها في مدينة قسنطينة لوحدها بتسعة عشر زاوية ، و بلغت أزيد من ثلاثين في مدينة تلمسان، و اشتهرت منطقة زواوة بالزوايا أيضا[3] .

---

[1]- عبد القادر صحراوي:**الأولياء و التصوف في الجزائر خلال العهد العثماني1520-1830م**، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع،الجزائر،ط1،2016،ص،ص،96،ص101

[2]- أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي** ،المرجع السابق ، ج1،ص21

[3]- أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي** ، ج5، المرجع نفسه ،ص187

و من العوامل التي ساعدت على انتشار التصوف تعاون السلطة مع الزوايا في الجهاد و صد العدوان الصليبي الاسباني من خلال رباطات العلم ، فتوثقت حينها الصلة بين الفقهاء و الحكام و أدى إلى تزايد مكانة ودور الطرق الصوفية في المجتمع [1].

و تميزت الحركة الصوفية بتحررها من الروابط الدموية و القبلية التي قامت عليها في بداية نشوئها وجنوحها إلى الأوساط الشعبية ، مما أكسبها بعدا أكثر وطنية ، امتدادا و تجذرا في أواخر القرن18م ، إذا أمسى التصوف قدر الجزائريين ، عامتهم و خاصتهم ، و لم يعد بالإمكان التفريق بين الفقير ذي الاتجاه العلمي و الولي ذي الاتجاه الباطني [2].

إن التصوف الذي كان يفيد التقشف و الزهد و الصلاح و طلب العلم و نبذ الدنيا و ملذاتها قد تحول إلى الدروشة و الشعوذة، فكثر مدعوا الولاية من الجهال و السفلة و أكلة أموال الناس بالباطل ، الذين غضت السلطة الطرف عنهم ، و مس شرائح المجتمع قاطبة بما فيهم العلماء العاملين من الفقهاء و المؤرخين و النحاة و الولاة و المسؤولين[3].

ونظرا لتدني عقول بعض الحكام من الباشوات و البايات لدرجة لا يختلفون فيها عن عقول العامة فإن ذلك لم يدفعهم فقط إلى الاعتقاد في السادة الصوفية ، بل و مناصبة العداء للفقهاء و التضييق عليهم بسبب التزام هؤلاء الفقهاء وحدهم من أنشطة هؤلاء الصوفية و إخضاعهم للأحكام الشرعية ، و مما زاد من ضيق الحكام أن البعض من هؤلاء الفقهاء كانوا عيونا عليهم للسلطات العثمانية في اسطانبول[4].

و من النتائج الخطيرة التي ترتبت عن تقديس الشيخ و الاعتقاد بخوارقه و بركاته و انتشار الزوايا و الأضرحة أن أصبحت المعرفة على قدر من البساطة و كذلك غلق باب الاجتهاد، و ازداد الوضع تفلتا بانتقال التعليم إلى الزوايا و تأثيرها السلبي بحكم أنها أصبحت

---

[1]–مراد وزناجي: المرجع السابق، ص179

[2]- عبد القادر صحراوي:الأولياء و التصوف في الجزائر خلال العهد العثماني1520–1830م، المرجع السابق ص،ص96–101

[3] – أبو القاسم سعد الله : المرجع نفسه، ج1،ص20

[4]– أبو القاسم سعد الله : المرجع نفسه ،ج3، ص196

مفرخة للتصوف البدعي ، و كذلك سيادة الطرق و الوسائل التقليدية في التعليم ، و أصبح هدفها كسب الأنصار و الأتباع و منافسة المدرسة و الجامع ، و بذلك عوض التفاف الناس بالعلماء في المساجد و المدارس التفوا بشيوخ الزوايا ، و زاد ذلك من تدهور التعليم.

و ترسخ أيضا جراء ذلك التنافس بين العالم و المرابط و بين الجامع و الزاوية ، و نظرا لاستقطاب الزوايا عدد كبير من المتعلمين ، عملت المدارس هي الأخرى على استقطاب المتعلمين بتبسيط طرقهم و آرائهم و محتويات دروسهم فزاد الطين بلة بتدهور التعليم أكثر[1].

إن تشجيع بعض الحكام العثمانيين للطرق الصوفية و رجالاتها قد أدى إلى ازدهر بعض الطرق و انتشارها في ربوع البلاد وخارجها ، و من أهمها الطريقة القادرية التي تميزت بكثرة فروعها و أوقافها و شيوخها ، و كذلك الطريقة الشاذلية ، و الرحمانية التي برزت في النصف الثاني من القرن18م و التي اكتسحت بدورها وسط و شرق البلاد ، و التي كانت غير موالية للعثمانيين، و برزت أيضا التيجانية في أواخر القرن 18م و هي أيضا غير موالية للسلطة الحاكمة[2].

و إلى جانب دافع كسب الثروة فمن بين دوافع قدوم الدراويش و القضاة والعلماء إلى الجزائر التكفل بشعائر المذهب الحنفي و كذلك مرافقة رجال الطرق الصوفية ، خاصة البكداشية و الموالية للجنود ، إذ احتكرت البكداشية و بدعم من السلطات العثمانية النفوذ في وسط الانكشارية ، و هذا من بين أسباب امتلاء مدين الجزائر بالسادة الصوفية [3].

لقد ادعى بعض الدراويش أنهم كانوا يرون الرسول (صلعم)و أنهم يعملون بأوامره و أنهم يعلمون الغيب ، و من أمثالهم الشيخ موسى اللاتي(ولد 1605م) [4].

و قد اختلف وضع الفقهاء و السادة الصوفية في الجزائر، فالفقهاء يعودون إلى اسطانبول بعد انقضاء مهامهم ، بينما يلازم السادة الصوفية الجيش و يمكثون في الجزائر

---

[1]– أبو القاسم سعد الله :**تاريخ الجزائر الثقافي** ، ج1، المرجع السابق ،ص48

[2]– أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي** ،المرجع نفسه، ج5 ،ص185

[3]– أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي** ،المرجع نفسه، ج3 ،ص196

[4]– أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي**، المرجع نفسه، ج1 ،ص212

و كثيرا نسجت حولهم الأساطير بعد موتهم حتى أضحوا جزء من التقاليد الشعبية ، و امتد بذلك نفوذهم الروحي ليشمل الجيش و عامة الناس على حد السواء[1].

ومن بين المعايير التي اتخذها بعض الدراويش لاختبار أتباعه عن مدى صلاحيتهم لإتباعهم طلب المال منهم، فإن طالبوهم برده و استرجاعه سقط حق الصحبة ، و ابتدعوا بذلك طريقة ما أسموه لا صحبة إلا بعد التجربة. إن الكثير من الدراويش الذين اتخذوا من الزهد طريقة للحياة و على الرغم من علامات الكرامات التي ظهرت لهم و شهد لهم عليها معاصريهم إلا أنهم قد عرفوا بسخطهم على الأوضاع الاجتماعية و السياسية القائمة دون قدرتهم على تغييرها [2].

و مهما كانت إيجابيات الصوفية و ما قدموه في مجال التعليم و الجهاد ، غير أن الذي غلب على عملهم هو دعوة الناس لاعتزال الدنيا و الابتعاد عن علومها و الاهتمام بعلوم الآخرة و التفرغ لها و الصبر على ظلم الناس بدلا من انتقاد أوضاع المجتمع المتردية و الحث على إصلاحها [3].

و من أهم السلبيات التي انطوى عليه المجتمع في ظل حمى التصوف التي انتابته ، قلة الإبداع و الإنتاج العلمي ،جراء انتشار الدروشة و التخلف السياسي، و أمسى العمل العقلي محصور لدى العلماء في دراسة أعمال السابقين و الاكتفاء بنظرة التقديس لها ، و شحها و تكرارها ، بتطويل مختصراتها حينا و اختصار مطولاتها حينا آخر ، و مما شمله هذا الإعمال السطحي كتب الفقه و النحو و التصوف و السيرة و التوحيد و المنطق ، و من مظاهر السطحية و المحدودية لجوء البعض منهم عندما لا يجدون ما يشرحونه لغيرهم من الآثار شرح أعمالهم ذلتها ، و لم ينا عن ذلك أبي راس الناصري و ابن سحنون رغم ما يمثلانه من كونهما من أقطاب العلم في أواخر العهد العثماني في الجزائر[4] .

---

[1]– أبو القاسم سعد الله ،**تاريخ الجزائر الثقافي** ، ج3، المرجع السابق،ص196

[2]– أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي** ،المرجع نفسه ، ج3،ص211–212

[3]– أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي** ،المرجع نفسه، ج1،ص49

[4]– أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي** ، المرجع نفسه ، ج5 ،ص186

لقد برز منذ أوائل القرن17م عدد من العلماء المعارضين للمتصوفة و الدراويش و المجاذيب ، من مدعي الخوارق و الغيب ، و دعوا إلى التصوف الحقيقي القائم على العلم و من بين هؤلاء العلماء المستنكرين لفساد المتصوفة نجد عبد الكريم الفكون خلال القرن 17م و كذلك ابن سليمان الذي دعى إلى التوفيق بين السياسة (الرياسة) و المرابطين [1].

و مما يوافق أيضا رأي أبي القاسم سعد الله بخصوص فساد المتصوفة اعتراض و ذم العلامة عبد الكريم الفكون متاجرتهم بتعليم المسلمين، إذ يقول "..و ليس العجب منهم بأكثر من العجب ممن تمسك بطرف من العلم ، يجيئون بهم إلى محالهم ، و يجفلون لهم الأجر على الإقراء و يراؤون به الناس...فلو نظروا بنور اليقين و استضاءوا بسراج الإيمان لعلموا أن الطلبة و ما يأخذون هم على الإقراء طعم خبيث و كسب حرام..فالطالب لا يفتح له الباب مادام لصا و تلصصه بأكل للحرام بل لا يزداد إلا انطماسا لبصيرته..لا يرقى لدرجات الكمال و قيود الخطايا متعلقة به ..قيود السحت و الغصوب و الحرام يملأ بها بطنه و يستر بها ظهره..."[2]

و من بين أسباب ثورة بعض الطرق الصوفية على السلطة الحاكمة تحريض بعض القوى الخارجية و تأييدها لها على غرار الطريقة الدرقاوية و التيجانية ، زيادة عن الشعور أحيانا بتقاعس و تخاذل السلطة عن الجهاد ن و كذلك اضطهاد المشايخ، و قد أثرت تلك الثورات سلبا على البلاد في مختلف نواحي الحياة [3].

و قد لاحظ أبو القاسم سعد الله أن بعض المثقفين و العلماء و المتصوفة في العهد العثماني لا يلتفتون إلى الماضي إلا عندما يضيقون ذرعا بالنكبات و الجهل و الاحتلال الأجنبي و تنقطع عنهم السبل و لا يجيدون حيلة لصد العدوان ، فيلتفتون إلى الماضي بحثا عن"انجازات باهرة و انتصارات زاهرة و كرامات خارقة" ولهذا شاعت ظاهرة التبشير في

---

[1]– أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي** المرجع السابق، ج 3 ، ص،ص228–229

[2]– عبد الكريم الفكون: **منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم و الولاية** ، تقديم و تحقيق و تعليق أبو القاسم سعد الله دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1987،1،ص،ص 128–129

[3]– أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي**، المرجع نفسه، ج 5 ، ص186

الأسواق بقدوم و وشوك تحقق النصر من قبل المداحين و شيوخ الطرق الصوفية، و صدق الناس ذلك بجهلهم و ظلوا ينتظرون نزول البركات و مجيء المهدي [1].

إن من بين الظواهر التي شاعت و بلغت حدا من التطرف في العهد العثماني البدع و حلقات الذكر و الأوراد و تعدد الطرق الصوفية ، و مما تميزت به نظرة التبجيل و التقديس للجزيرة العربية من قبل العلماء و المتصوفة كونها الأرض التي عاش فيها الرسول(صلعم) و صحابته و تنفسوا هواءها ، و هي نظرة روحانية متألفة من القلب و الروح تبين جانب من الروابط التي تشد البلدين [2].

و يرى أن مسؤولية التخلف الثقافي و الحضاري للجزائر لا تتحملها السلطة الحاكمة لوحدها كونه امتداد للتخلف السائد قبل مجيء العثمانيين ، ولكن تتحمل القسط الأكبر منها بسبب تشجيعها على نشر الخرافة و البدع لغرض استمالة الطرقيين و المتصوفة و حكم الجزائريين من خلالهم لما كانوا يحضون به من تقدير و ولاء عامة الناس ، بل يتحملها الجزائريون أيضا[3].

إن اعتماد السلطة الحاكمة على الطرق الصوفية لبسط سلطتها على الأقاليم ، بفعل الوزن الذي تحظى به لدى شرائح واسعة في المجتمع منذ القرن 18م و بعد تراجع الأسطول البحري وتعويض عجز الخزينة بزيادةالضرائب على السكان قد أدى إلى التدهور الاقتصادي و الاجتماعي، و شعور الرعية بتقاعس السلطة و عجزها و ازداد كراهيتها للأوجاق، في الوقت الذي تحولت الزوايا إلى مراكز اجتماعية تحتضن الناس و تتكفل باحتياجاتهم، و ازداد بذلك التقارب بين الأولياء و المجتمع ، و بلغت درجة التكفل حد إعانة الفلاحين بالبذور وغيرها و راج نشاطها التجاري أيضا في المجتمع و تجذر نفوذها أكثر، و أصبحت سلطة قائمة بذاتها، و بعد محاولة السلطة الحاكمة احتواء الوضع ظهرت ثورات الصوفية التي استغلتها

---

[1]– مراد وزناجي: المرجع السابق، ص،ص187–189

[2]–أبو القاسم سعد الله: **أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر** ، ج1،المرجع السابق، ص،ص178–179

[3]– أحمد بن يعزر : المرجع السابق ، ص85

القوى الأجنبية لضرب الوحدة و الاستقرار الداخلي للبلاد ، و تمثلت في ثورة ابن الأحرش و ثورة درقاوة ، و التي خلفت أضرار و أخطار زعزعت أركان الدولة و المجتمع معا[1].

[1]– عبد القادر صحراوي ، **الأولياء و التصوف في الجزائر خلال العهد العثماني** 1520–1830، المرجع السابق،ص،ص281–282

المبحث الثالث:الأوقاف:

يرى أبو القاسم سعد الله أن المؤسسات الثقافية في العهد العثماني قد انحصرت في المسجد و المدرسة و الزاوية و المكتبة ، و أكثر هذه المرافق مخصصة للتعليم و ليس للثقافة بالمفهوم الحالي، و من المؤسسات الثقافية التي لم تكن موجود وقتئذ المطبعة و الصحافة و كل هذه المؤسسات تعتمد على الأوقاف.

إن الوقف هو عمل يقوم به الإنسان المسلم طوعا يعبر عن شعوره بالتضامن مع إخوانه المسلمين، ظهر بظهور الإسلام ثم تطورت مجالاته و أهدافه مع الوقت خاصة في العهد العثماني، و تقيد العملية في وثيقة شرعية تبين الواقف و الشهود و المستفيدين و قيمته و كيفية الاستفادة منه و عوامل نموه و القائمين عليه ، و يحترم هذا العقد من قبل الواقف و المستفيد و السلطة كلهم على السواء.

و على الرغم من الأسس الشرعية التي يقوم عليها الوقف إلا أنه كان دوما عرضة للانتهاك ، من خلال إساءة الوكلاء التصرف فيه أو تحويل السلطة فوائده إليها، و لهذا كثيرا ما اشتكى العلماء و الرعية من إهمال و ضياع الأوقاف، و قد عمت الظاهرة ربوع البلاد كمدينة الجزائر و قسنطينة و بسكرة و غيرها، و بلغ الانتهاك درجة استغلال البعض لها و كأنها مليكاتهم الخاصة، ونقل أبو القاسم سعد الله امتعاض و احتجاج علماء العصر كالورتلاني و أحمد بن ساسي البوني و أحمد الزهار الذين اعتبروه تمردا و طغيانا و جورا[1].

و ثمة حكام من كان يتدخل لتنحية وكيل غير ملتزم و استبداله بوكيل آخر لحفظ الوقف، كما وجد بعض الحكام الذين عزلوا وكلاء أوفياء و استبدلوهم بآخرين لغرض الاستحواذ على الأوقاف دون مراعاة الأسس الشرعية التي قام عليها الوقف ، و يعد صالح باي من أبرز و أصلح الحكام المحليين الذين أصلحوا الأوقاف في بايلك الشرق و بثوا الحياة و النشاط فيه

[1]– أبو القاسم سعد الله ،**تاريخ الجزائر الثقافي**،ج1، المرجع السابق، ص،ص 227–228

من جديد من خلال إعادة جردها و وضع سجلات و نظام إحصاء و مراقبة سداسية و سنوية و مراقبته الشخصية لها و هو ننفس ما قام به محمد الكبير في بايلك الغرب في عهده[1].

و نظرا للمداخيل الهائلة التي تدرها الأوقاف فقد تملك البعض الطمع في الوصل إليها ودفعت بهم إلى التزلف للحكام الفاسدين لتولي وكالتها. و قد عرف بعض الوكلاء بعدم احترام المهام الموكلة لهم لإدارة و حماية و تطوير الوقف رغم تقاضيهم رواتبهم مقابل ذلك، و لا يتوانون أيضا في شراء ذمم الناقدين لهم بطرق شتى.

و مما تميزت به الأوقاف كثرتها و تنوعها إلى درجة يصعب إحصائها ، شملت وقف عقار من أرض والحوانيت والبيوت و الأموال و الآبار و غلات الحقول و غلات الأشجار و من الأغراض التي يستعمل فيها الوقف رعاية التعليم من الطلبة والعلماء وكذلك الفقراء و العجزة و اليتامى و ابن السبيل، و أهمها الاعتناء بالمساجد و المدارس و الزوايا و الأضرحة و تخصصت البعض منها في بفئات محددة من الفقراء ، كفقراء الأندلس و فقراء الأشراف و فقراء الحرمين الشريفين، أو بطلبة خصوصيين،أو بمذهب معين ، كالوقف على نشر و تدريس المذهب الحنفي، و من أوجه الوقف أيضا الوقف على قراءة مقدار من القرآن الكريم للواقف أو لزوجه أو واليه مع ضبط مقدار النقود لكل نوع ،و توسعت لتشمل احتياجات العامة كشراء زيت للإنارة أو الإنارة في شهر رمضان،و البعض الآخر كان موقوفا للإنكشارية و أخرى للطرقات العامة و العيون و المياه الصالحة للشرب.

لقد اكتست الأوقاف أهمية دينية و علمية و اجتماعية بالغة، باعتبارها مصدر العيش للزوايا و الأضرحة و مصدر الحياة و النمو للمساجد و المدارس و الكتاتيب و تكاليف معيشة العلماء و الطلبة، و كذلك توزيع ثرواتها على الفقراء و العجزة و اليتامى مما ساهم في تحقيق التلاحم الاجتماعي و تحقيق التضامن في المجتمع، بالإضافة إلى التأثير السياسي و الديني خارج الحدود مثل إرسال صرة الحرمين الشريفين في موكب الحجيج [2].

---

[1]– أبو القاسم سعد الله :**تاريخ الجزائر الثقافي**،ج1، المرجع السابق، ص229

[2]– أبو القاسم سعد الله ،**تاريخ الجزائر الثقافي**،ج1، المرجع نفسه، ص،ص230–231

و من أهم المؤسسات الوقفية التي أنشاها الحكام العثمانيون في الجزائر مؤسسة سبل الخيرات، و التي تضطلع بأوقاف المساجد و المدارس الحنفية، و كذلك مؤسسة الأندلس و التي تتكفل برعاية المهاجرين الأندلسيين ماديا و معنويا، من التعليم و الإيواء، تضم في الغالب زاوية و مسجدا و كتابا و مقبرة، زيادة عن الموظفين و المـــدرسين الذين هم في حـــاجة إليهم.

كما أسهم الحكام العثمانيون في إنشاء زاوية للأشراف (آل البيت) ضمت أيضا مسجدا و كتابا و الاعتراف بنقابتهم [1].

و من بين المؤسسات الوقفية التي ازدهرت في العقد العثماني في الجزائر أوقاف مكة و المدينة، التي تختص بجمع صرة لفقراء المدينتين ترسل مع ركب الحج، و لكن النسبة الأكبر من أوقاف الحرمين الشريفين كانت توجه لتغطية أعمال علمية و اجتماعية في الجزائر، إذ تشكل المصدر الأساسي لتنشيط التعليم بأطواره المختلفة ،من الابتدائي إلى الثانوي و العالي كما يخصص قدرا منه كأجور للمدرسين و الأئمة و الخطباء[2]. و قد برزت أيضا أوقاف الجامع الكبير بمدينة الجزائر و تعتبر من بين اكبر المؤسسات الوقفية ، و أكثر المساهمين فيها الحكام العثمانيون و موظفو الإيالة.

لقد كان القدر الأكبر من الأوقاف موجه للتعليم ، و يفسر ذلك بنظرة العثمانيين التي ترى أن الدين و العلم متلازمين[3].فضلا عن كون التعليم كان حرا يمون بشكل مفتوح من قبل الجميع، حكاما و محكومين،و أكثر الإسهامات كانت موجهة للوقف على التعليم و بناء و صيانة المرافق التعليمية .

---

[1]– أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي** ،المرجع السابق ، ،ج5ص،ص186–187

[2]– أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي** ،المرجع نفسه،ج5 ، ص،ص187–188

[3]– أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي** ،المرجع نفسه ،ج5، ص188

و تمثل الأوقاف خاصة الموجهة لقطاع التعليم إحدى أكثر المجالات التي أغدق فيها الحكام و الموظفين على اختلاف فئاتهم و رتبهم عطاءاتهم في إطار المبادرات الفردية و لدوافع ذاتية، لفعل الخير و كسب الأجر ، أو استمالة العلماء و رجال الدين [1].

و تميزت أيضا بتباين حجم مداخيلها ، فالبعض منها ذات مداخيل ضخمة كأوقاف الجامع الكبير و سبل الخيرات ، و تنوع القائمين على الوقف من رجال أو نساء، محليون أو أتراك و أحناف و مالكية، و تباينت أهداف ذويها من وازع الخير و الحماس للدين و العلم و خدمة المجتمع، أو دافع السمعة و تخليد الذكر في الحياة و الممات، أو لدافع مادي دنيوي لغرض ابعد فئة معينة من الورثة و تخصيصها لفئة معينة، أو الاحتفاظ بها تحت اسم الوقف و الحيلولة دون تحويل السلطة لها إلى بيت المال في حالة انقضاء الورثة [2]. و رغم الأهمية التي انطوت عليه الأوقاف غير أن عوائق كثيرة قد حدت منها ن مثل معاناة وقف الشجرة و تراجع مداخيلها تدريجيا بسبب عدم الرعاية الكافية لها مما يؤدي إلى نضوب مداخيل المؤسسات الموقوفة لها بلغ حد التأثر للبعض منها حد التلف و الزوال.

و يعتبر أبو القاسم سعد الله اكتفاء السلطة الحاكمة في الجزائر بحبس الأوقاف على المؤسسات الدينية و التعليمية لبناء الزوايا و المساجد و الكتاتيب و حصرها في المبادرات الفردية إحدى سلبيات الحكم العثماني، ينم عن افتقار هذه السلطة لمشروع مجتمع و تسبب في عقم الحياة الثقافية في الجزائر ككل، و حصر مفهوم الدين الإسلامي في العبادات ليس إلا[3] . فإسهام بعض الحكام و الموظفين في الأوقاف يعكس خيرية البعض منهم و إحساسهم بالواجب الديني و الاجتماعي نحو المجتمع ، لكنها تبقى أعمال فردية تعوزها النظرة الشاملة ، فلم تقم مؤسسة وقفية رسمية واحدة تتعهدها الدولة [4].

---

[1]– أبو القاسم سعد الله :**أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر** ،ج5، المرجع السابق ، ص،ص186–189

[2]– أبو القاسم سعد الله : ، **أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر** المرجع نفسه، ج1،ص ،ص232–233

[3]– أبو القاسم سعد الله :**تاريخ الجزائر الثقافي**،ج1، المرجع السابق، ص18

[4]– أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي**، المرجع نفسه،ج1، ص،ص233–234

إن وجود بعض الحكام و الموظفين الذين أسهموا في الأوقاف المخصصة للتعليم و بذلوا في سبيلها النفس و النفيس لم يمنع من تعرض هذه الأوقاف للاستيلاء و الاستغلال من قبل بعض الحكام و الموظفين الآخرين و الذين لم يكتفوا بالاعتداء على الأوقاف فقط ، بل أهملوا المدارس و المساجد فطالها الخراب و نضب العلم في المجتمع، نظرا للفساد الذي أعمله هؤلاء الحكام في القطاع ، دفع بعض الكتاب إلى اتهام السلطة العثمانية بمعاداة الثقافة، خاصة الفرنسيين منهم وحتى الانجليز، إذ أقر الأخيرون خصوصا بعدم عناية الحكام بالمصالح العامة بما فيها التعليم[1] .

[1]–أبو القاسم سعد الله :**أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر** ،ج5، المرجع السابق ، ص،ص189–190

لقد عالج أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الحديث اعتمادا على المادة التاريخية الحية ذات الصلة بفترة الحكم العثماني من المادة الأرشيفية و المخطوطات و كتابات المعاصرين من الرحالة و الدبلوماسيين و غيرهم ، دون الانسياق وراء المنددين أو المبجلين للحكم العثماني في الجزائر، معالجا إياها حسب ما تقتضيه الحقيقة التاريخية والأمانة العلمية، بحيث دعا دوما لإعطاء هذه المرحلة حقها من الاهتمام والاعتبار إذ لم يدع مسألة من مسائلها إلا ونالها بالتمحيص والنقد إيجابية كانت أو سلبية، وتبقى الإجابة عن الإشكالية المطروحة مرهونة بالحقائق التي أمكن استخلاصها من دراساته لكل المسائل المتعلقة بالحكم العثماني في الجزائر، و التي تتمحور حول مدى التأثير الإيجابي أو السلبي للوجود و الحكم العثماني في الجزائر في مختلف الميادين.و كذلك مظاهر تشكل و تبلور معالم الهوية الوطنية .

و يمكن **إجمال حصيلة الحقائق المتوصل إليها** كالآتي:

1- أهمية الجزائر في العهد العثماني، باعتبار أن الجزائر الحالية قد تشكلت في هذه الحقبة سياسيا واجتماعيا و شعوريا ، و التي تجلت في الخصوصيات التي اكتسبتها الجزائر وقتئذ بحيث أمست وطن له سماته الخاصة و مقوماته الأساسية، فمن بين أهم الحقائق التي رافع عنها أبو القاسم سعد الله هو وجود دولة و أمة جزائرية سابقة عن الاستعمار الفرنسي تماشيا و الدفاع عن الشرعية التاريخية للمقاومة الشعبية و الثورة التحريرية المضفرة و دولة الاستقلال وبالتالي فمعالجة تاريخ الجزائر في العهد العثماني هو تأكيد على أن الاستقلال سنة1962 هو استرداد لاستقلال و سيادة الجزائر قبل 1830م.

2- الخصوصية الظرفية للوجود العثماني في الجزائر مقارنة بالولايات العثمانية الأخرى التي تم ضمها بالفتح، بينما التهديد الصليبي الأوروبي و حملات الغزو خاصة الاسبانية المتكررة هي التي دفعت الجزائريين للاستنجاد بالعثمانيين ، و لهذا يرفض أبو القاسم سعد الله إدراج الحكم العثماني في الجزائر في إطار حركات الاستعمار و الاحتلال رغم ما انطوى عليه نظام الحكم

العثماني من فساد و جور. كما يرفض إسقاط مفهوم القومية على مسألة الوجود العثماني في الجزائر كونه مفهوم يتناسب و الحالة الأوروبية و لا يتناسب مع السلطة العثمانية القائمة على مبدأ الخلافة الإسلامية.

3- الإقرار بالمساوئ التي انطوى عليها نظام الحكم العثماني في الجزائر في المجال السياسي كاستئثار الأتراك العثمانيين بالسلطة و تهميش وإقصاء العنصر المحلي من المسؤوليات المختلفة ، و كذلك فساد الحكام و جشعهم و آليات الإدارة المحلية و المركزية و ما ترتب عنها من تعسف و عنف مسلح مس كل الفترة الحديثة خلخل أركان المجتمع و الدولة معا و رغم تحميله السلطة الحاكمة مسؤولية كل مظاهر الفساد السياسي و الإداري إلا أنه يرفض أن يتخذ ذلك الإخفاق مطية للطعن في شرعية الوجود العثماني في الجزائر و الأهداف الخفية من ورائها، و هي نسف الروابط الحضارية وطمس الانتماء العربي و الإسلامي للجزائر.

5-اعتبار الجزائر في العهد العثماني مرحلة الجمود و الركود الثقافي ، محملا السلطة الحاكمة القدر الأكبر من مسؤولية الانحطاط الثقافي و مظاهره المختلفة، و مفسرا ذلك بغياب الرؤية الحضارية للسلطة الحاكمة و عدم تمثل سياسة تعليمية رسمية فاسحة المجال للمبادرات الفردية و إسناد متطلباتها المادية و المالية للأوقاف و التأثير السلبي لهذا المورد على القطاع بسب إهمال الأوقاف و الاعتداء عليها، مما حال دون قيام بنية قاعدية حديثة و عالية المستوى على منوال جامعة الأزهر أو فاس أو الزيتونة قادرة على تخريج العلماء و الكتاب و إحداث ديناميكة في القطاع، و من جهة ثانية فقد سيطر التعليم التقليدي و غلب عليه التقليد و سد باب الاجتهاد و الاكتفاء بتكرار أعمال السابقين مع تقديسها . وكذلك عزل العلماء و منعهم من مشاركة السلطة الحاكمة مسائل الحكم، و تم التضييق على بعض المجتهدين، و افتقد الإعمال الثقافي لأهم الشروط الموضوعية للتفاعل و الإنتاج العلمي و هما الاستقلال العقلي و روح الإبداع.

6--تأثير التهديد الأجنبي على الجزائر في العهد العثماني كرس ظاهرة الجهاد و الحروب الخارجية مما رسخ السمة العسكرية لنظام الحكم، وحمل السلطة الحاكمة على استقطاب الطرق الصوفية و فسح لها المجال للنشاط و دعمها ، ساعد على انتشار الطرق الصوفية و تعاظم

مكانتها في المجتمع ، و بسبب عدم تدخلها لاحتواء انحرافاتها ، فإن اضطلاعها بالنشاط التعليمي و الاجتماعي قد أسهم بشكل كبير في الانحطاط العلمي و الركود الفكري زيادة عن استشراء الجهل و الشعوذة في المجتمع جراءها ، و لكن في الوقت ذاته يعزو لها الفضل في الإسهام على صد الغزو الأجنبي ووقوف أكثر هذه الطرق في صف السلطة مما سمح باحتواء الاضطرابات الداخلية و التهديدات الخارجية، كما ساهمت من خلال جمعها بين الجهاد و التعليم في حفظ اللغة العربية و الدين الإسلامي ، و بالتالي دورها في تجذير مقومات الهوية الوطنية الأساسية.

و مهما يكن من أمر و بغض النظر عن إيجابيات وسلبيات الحياة الثقافية في الجزائر إبان العهد العثماني فقد بين أبو القاسم سعدالله و برهن على وجود الثقافة الجزائرية و حدد العناصر التي كونت المناخ الثقافي الجزائري و رسمت آفاقه ، وهي العناصر التي شكلت محور تفاعل المجتمع الجزائر، كاللغة العربية و الدين الإسلامي و التاريخ .

ملاحق البحث:

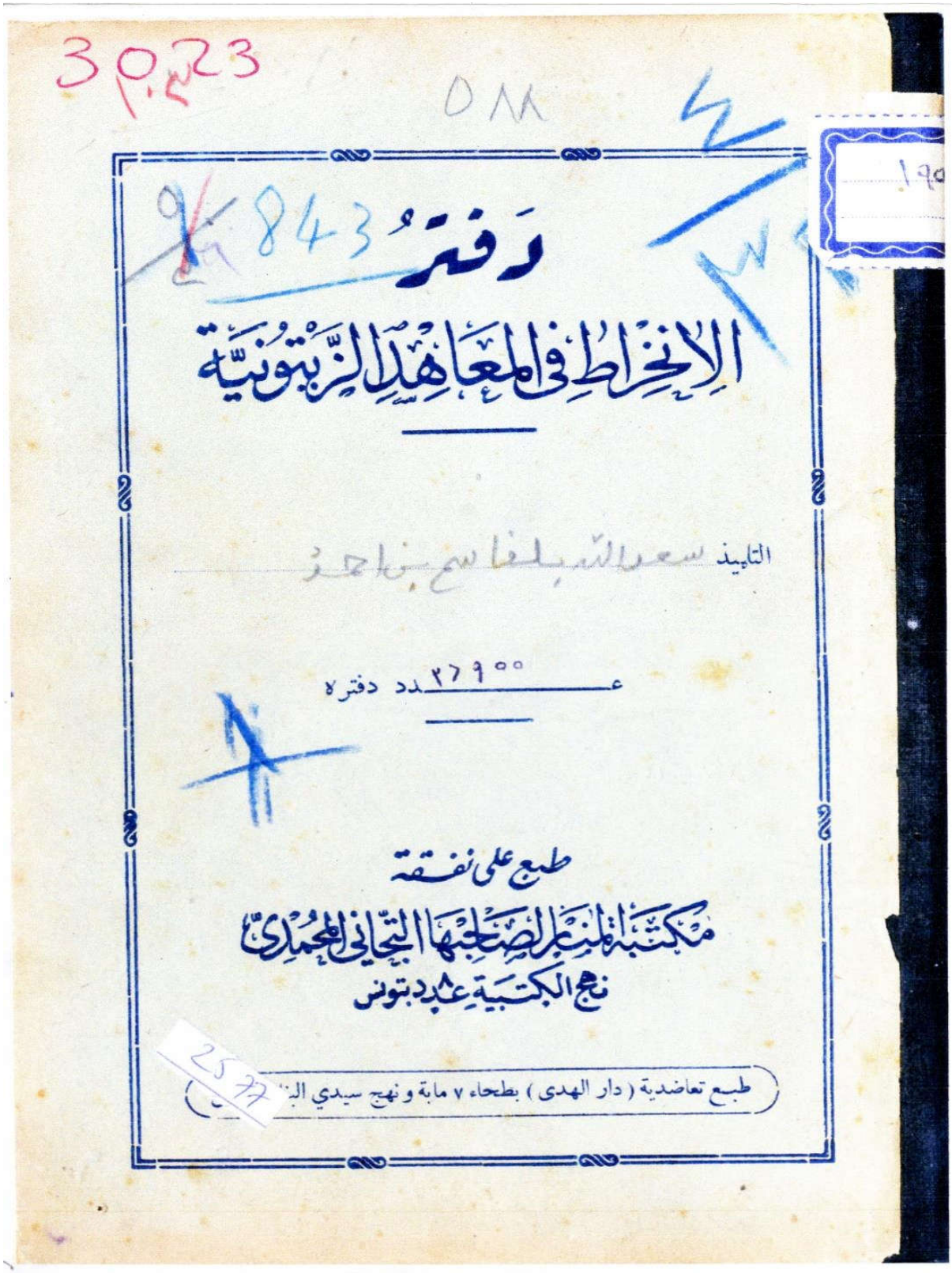

الغلاف الخاص بالتلميذ الزيتوني سعد الله بلقاسم بن أحمد

ع ٨٨٥ ر

الحمد لله تاريخ ١٢ سبتمبر ١٩٤٧

حضرة الكتاب الأخ السيد، الطاهر بن عاشور
شيخ الجامع الأعظم وبروحه السلام عليكم
ورحمة الله وبركاته. وبعد أطلب من جنابكم
أن تتكرموا بسلك الطلبة الجدد لهذه السنة
الاسم: سعد الله بلقاسم بن أحمد بن علي
البلاد: قمار (عمالة قسنطينة)
ولقب البلدة والده سعد الله أحمد. وبالمحاضرة
عزوني كرديس شاويش إدارة المشيخة
لحاجة القرآن كله واجيده. ومن المتون الآجرومية
وابن عاشر. مستعد لعام الاستعداد.
ويجدون داخل الرسالة شهادة شيخ البلدة
وتقبلوا فائق احترامي والسلام
من سعد الله بلقاسم بن أحمد

دفتر الانخراط

في المعاهد الزيتونية

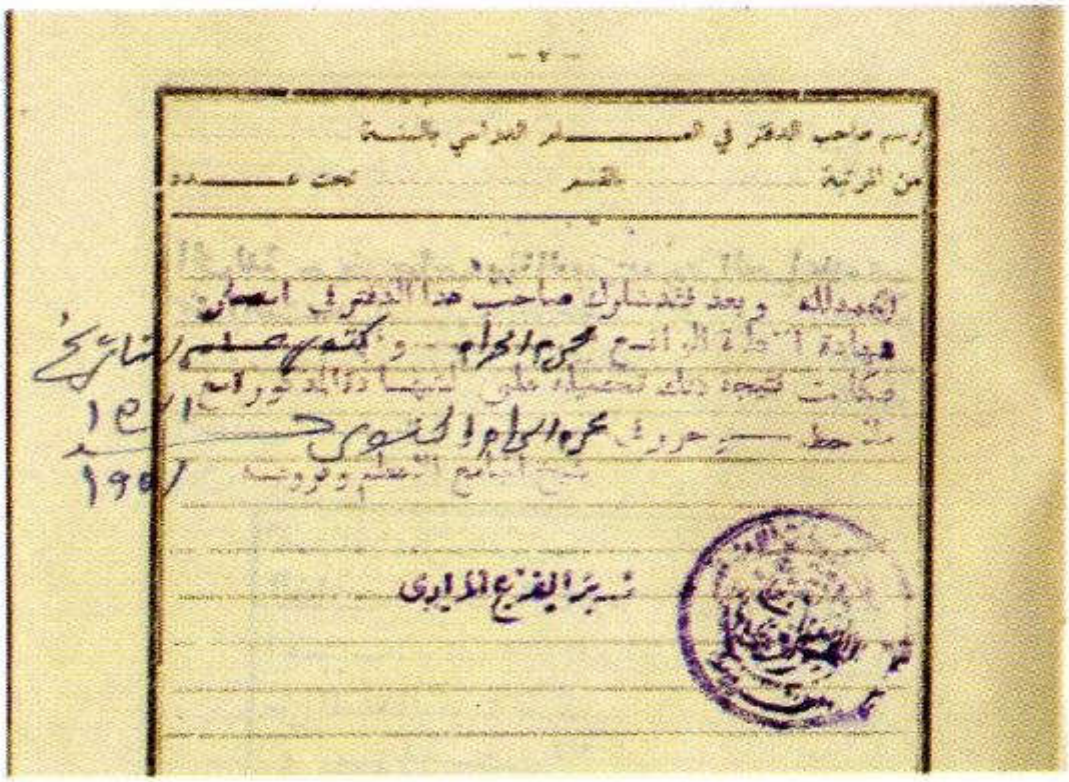

رسم صاحب الدفتر في العام الدراسي بالسنة
من الترتيبة القسم تحت العدد

الحمد لله وبعد فقد تدارك صاحب هذا الدفتر في السنة
شهادة الدراسة بمعهد الحرام - وكتبت هذه
شهادة تتجه ذلك لتحصل على شهادة الدكتوراه
بمعهد الحرام الشريف
بمعهد الشيخ العلم وتوفيقه

شهد الفقيه الدارى

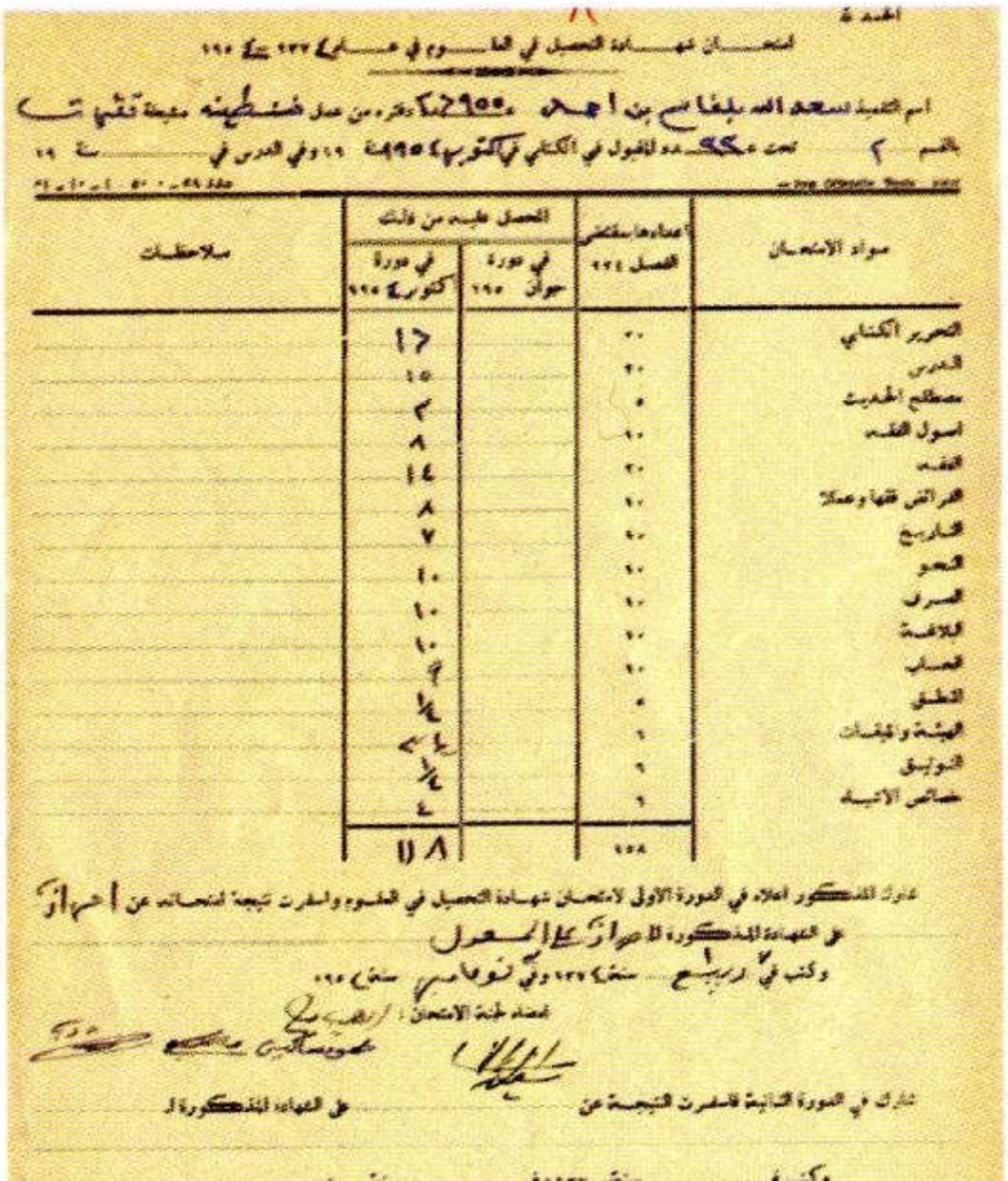

العدد ٨

امتحان شهادة التحصيل في العلوم في عام ١٣٢٧ سنة ١٩٠٩

اسم التلميذ سعد الله بلقاسم بن احمد ٢٩٥٠ كم من محل فلسطينه مدينة تقني ت
القسم ٢ تحت عدد القبول في الكتاب في أكتوبر سنة ١٩٠٥ م وفي الدرس في سنة ١٩

مواد الامتحان	عدادها بالقانون الفصل ١٢١	الحاصل عليه من ذلك في دورة جوان ١٩٠٩	الحاصل عليه من ذلك في دورة أكتوبر ١٩٠٩	ملاحظات
التحرير الكتابي	٢٠		١٦	
الدرس	٢٠		١٥	
مصطلح الحديث	٥		٣	
اصول الفقه	١٠		٨	
الفقه	٢٠		١٤	
الفرائض فقها وعملا	١٠		٨	
التاريخ	١٠		٧	
النحو	١٠		١٠	
الصرف	١٠		١٠	
البلاغة	١٠		١٠	
المنطق	٥		٣	
الهيئة والفلك	٥		٤ ١/٢	
التوقيت	٥		٤ ١/٢	
حساب الآلة	٥		٤	
	١٢٥		١١٨	

عاد المذكور اعلاه في الدورة الاولى لامتحان شهادة التحصيل في العلوم وانتهت نتيجة امتحانه عن احراز
على الشهادة المذكورة لاحراز على العدل
وكتب في ربيع سنة ١٣٢٧ وفي نوفمبر سنة ١٩٠٩
امضاء لجنة الامتحان

شارك في الدورة الثانية فانتهت النتيجة عن على الشهادة المذكورة لـ

نماذج من الصور لابو القاسم سعد الله و واجهات بعض مؤلفاته

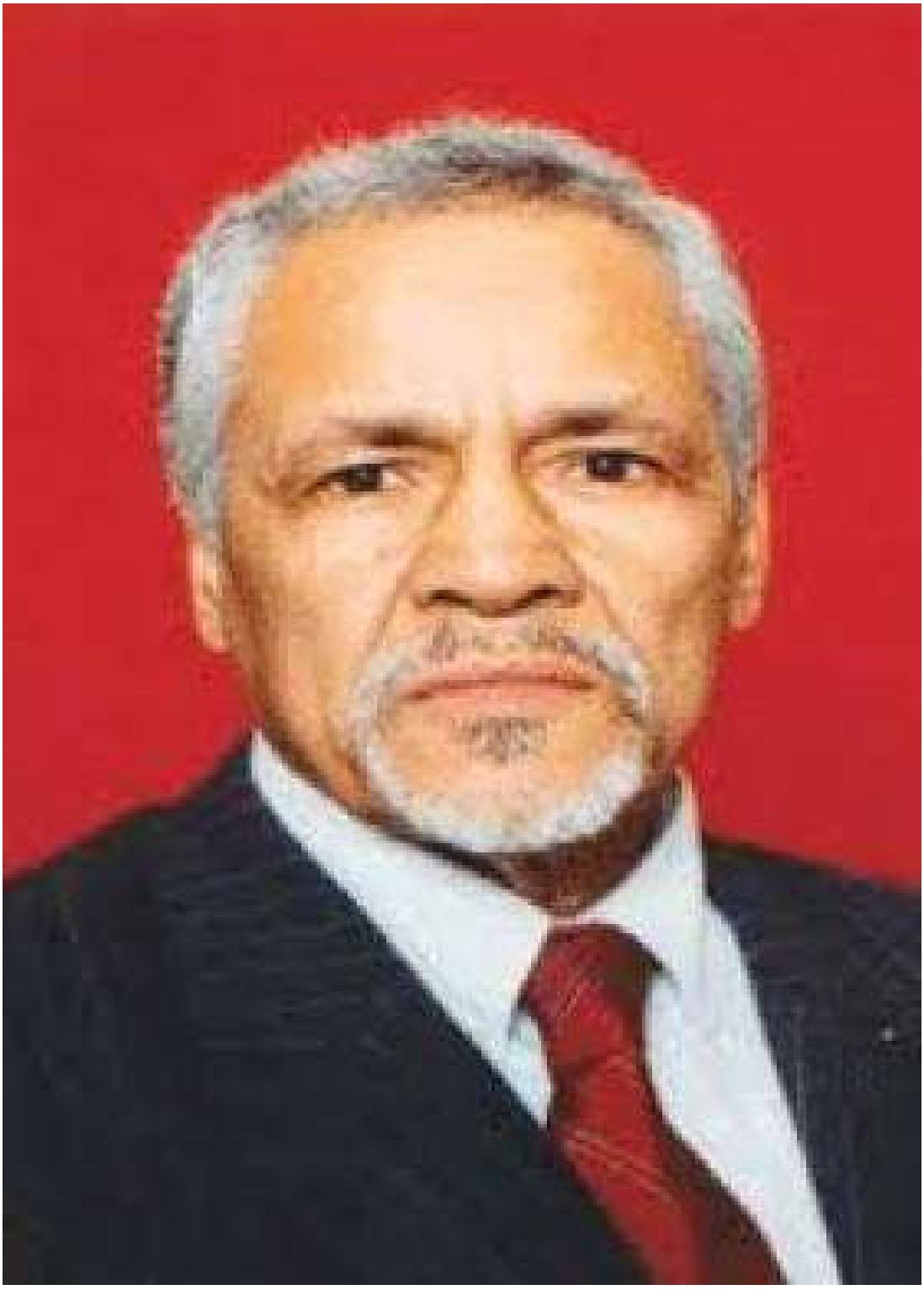

الجزائر

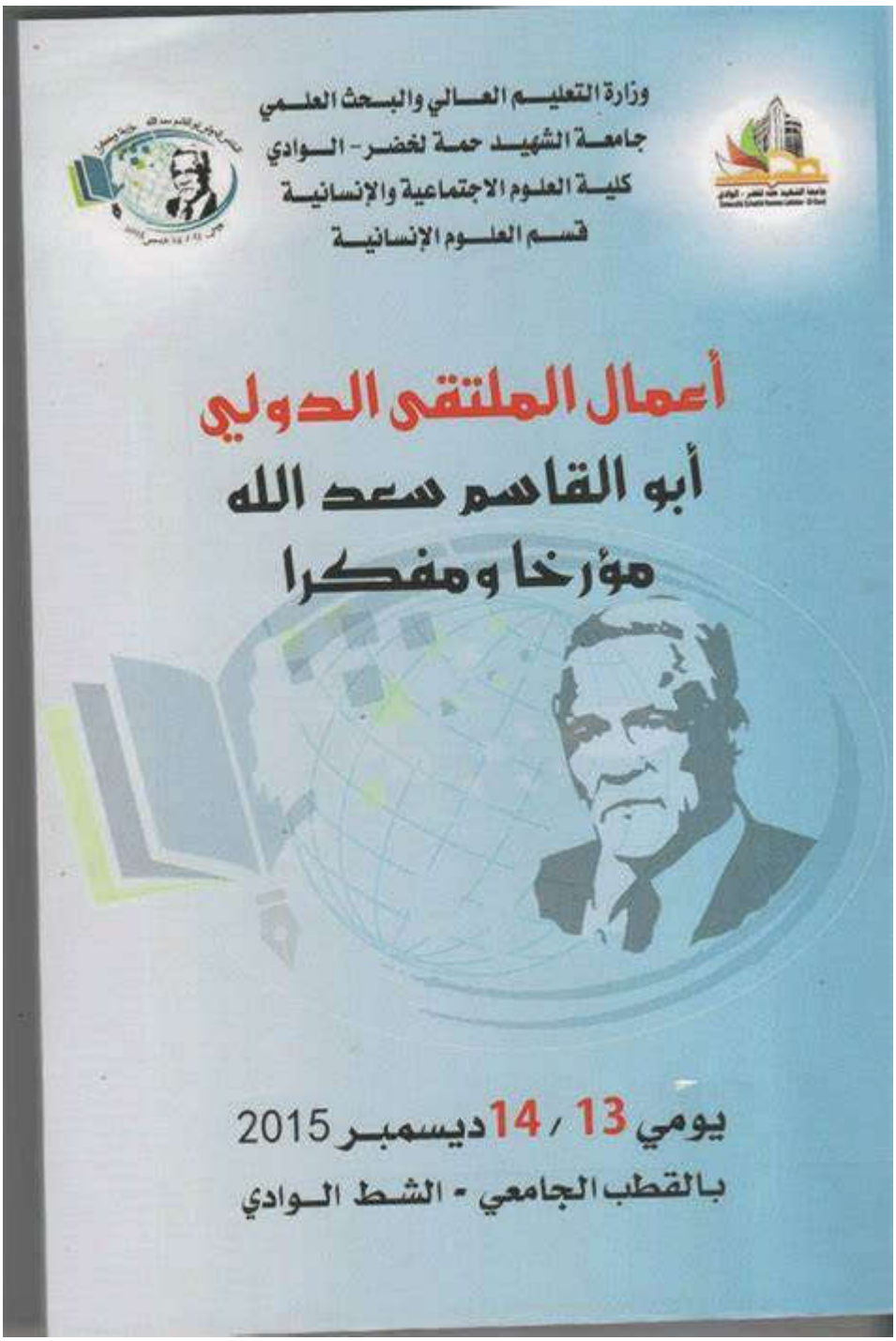
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمة لخضر - الوادي
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم العلوم الإنسانية
أعمال الملتقى الدولي
أبو القاسم سعد الله
مؤرخا ومفكرا
يومي 13 / 14 ديسمبر 2015
بالقطب الجامعي - الشط الوادي

الدكتور ابو القاسم سعد الله

محاضرات
في
تاريخ الجزائر الحديث

(بداية الإحتلال)

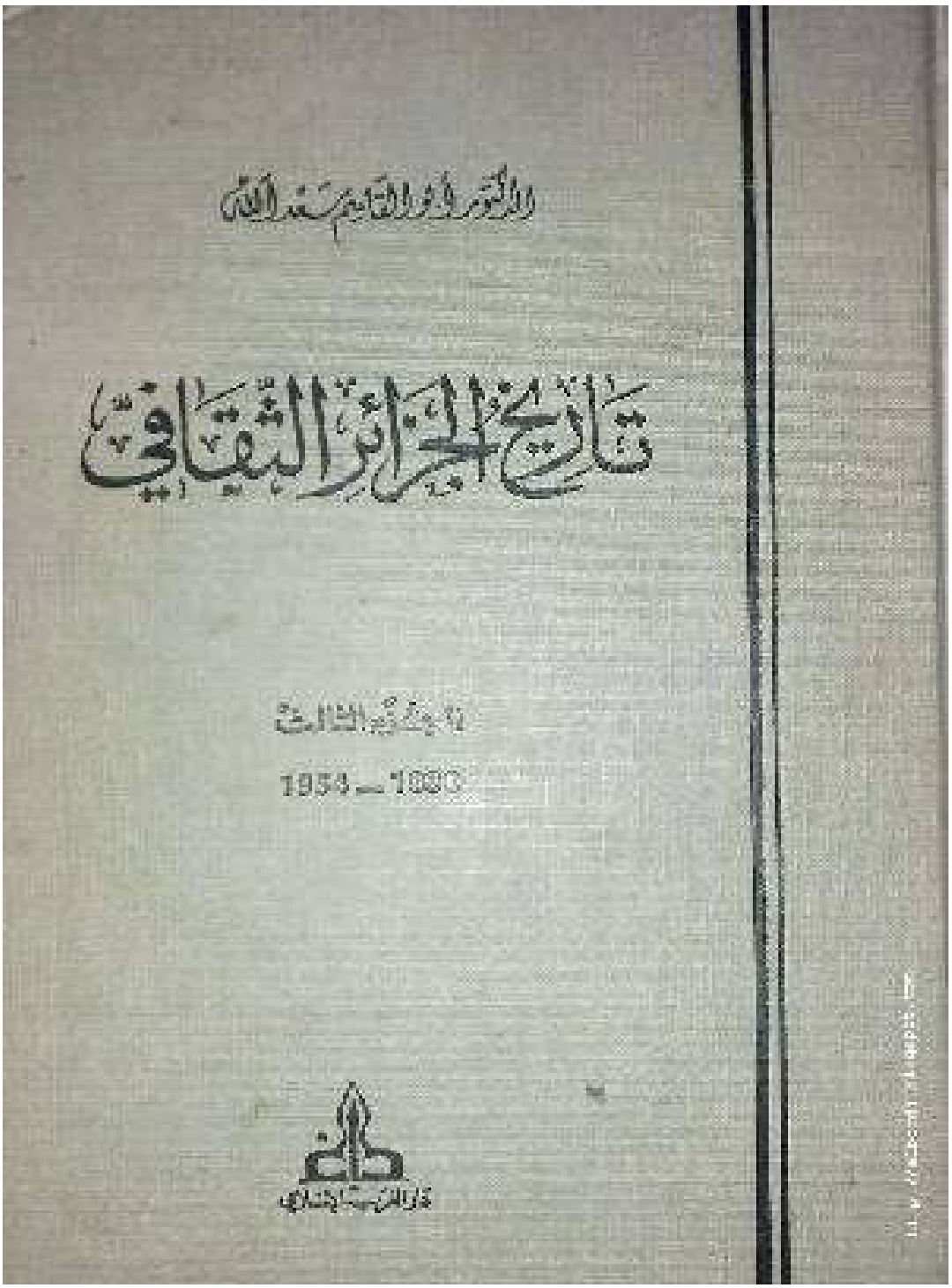
الدكتور أبو القاسم سعد الله
تاريخ الجزائر الثقافي
الجزء الثالث
1954 ـ 1830

أبو القاسم سعد الله

بعيون مختلفة

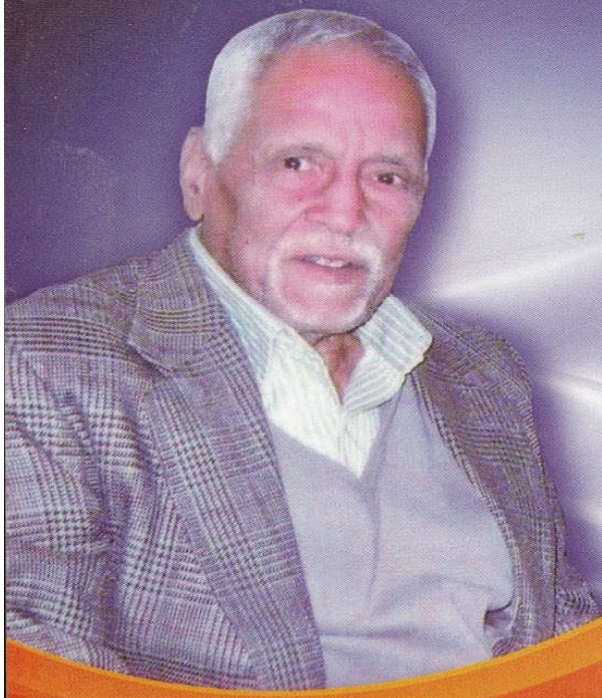

إعداد

د. نجيب بن خيرة

عالم المعرفة

الجزائر

الدكتور أبو القاسم سعد الله

أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر

الجزء الأول

Tatouf DZ
Blogger and Journalist

دار البصائر
الجزائر

البيبليوغرافيا:

-قائمة المصادر:

-باللغة العربية:

1-عبد الكريم الفكون، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم و الولاية ، تقديم و تحقيق و تعليق أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، لبنان،ط1987،1

2- محمد أبو راس الجزائري، فتح الإله و منته في التحدث بفضل ربي و نعمته، تحقيق و ضبط و تعليق محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1986

3- محمد أبو راس الجزائري، عجائب الأسفار و لطائف الأخبار،الجزء الأول ، تقديم و تحقيق محمد غالم،منشورات crasc

4--نيلز نيلسون موس، مذكرات، ترجمة و تعليق لخضر بوطبة، البدر الساطع للطباعة و النشر، الجزائر، ط 1، 2019

5- حمدان عثمان خوجة، المرآة، تقديم و تعريب و تحقيق محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر،ط 2،1982

6- عميراوي أحميدة ،الجزائر في أدبيات الرحلة و الأسر، مذكرات تيدنا أنموذجا ،دار الهدى،عين مليلة، الجزائر ط1 ، 2009

باللغة الأجنبية:

07-Thomas Shaw ,voyage dans la régence d,Alger au 18me siècle ,traduit par E.MacCarthy(1830),grand Alger livres édition , Alger , Algérie ,2007

-قائمة المراجع:

1-أبو القاسم سعد الله، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر ،ج1،عالم المعرفة للنشر و التوزيع، المحمدية، الجزائر،ط3 ،2016

2- أبو القاسم سعد الله ، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر ،ج2 عالم المعرفة للنشر و التوزيع، المحمدية، الجزائر،ط3 ،2016

3- أبو القاسم سعد الله ، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر ،ج3 عالم المعرفة للنشر و التوزيع، المحمدية، الجزائر،ط3 ،2016

4- أبو القاسم سعد الله ، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر ،ج4 عالم المعرفة للنشر و التوزيع، المحمدية، الجزائر،ط3 ،2016

5- أبو القاسم سعد الله ، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر ،ج5 عالم المعرفة للنشر و التوزيع، المحمدية، الجزائر،ط3 ،2016

6- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج1،دار الغرب الإسلامي،بيروت ، لبنان ،ط1 1998

7- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج2،دار الغرب الإسلامي،بيروت ، لبنان ، ط1 1998

8- أبو القاسم سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي،ج5،دار الغرب الإسلامي،بيروت ، لبنان ، ط1 1998

9- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج6،دار الغرب الإسلامي،بيروت، لبنان، ط1 1998

10-بن صالح قارة مبروك ، الصورة الحقيقة للزوايا و الطرق الصوفية ، دار علي بن زايد للطباعة و النشر، بسكرة ، الجزائر(دون ذكر السنة)

11-بوضرساية بوعزة ، رواد المدرسة التاريخية الجزائرية،دار الحكمة، الجزائر، 2006

12- عبد القادر صحراوي ، الأولياء و التصوف في الجزائر خلال العهد العثماني 1520-1830، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر،2016

13-عبد القادر فكاير،دراسات في تاريخ الجزائر الحديث، 1830،دار هومة للنشر و التوزيع، الجزائر 2018

14- عميراوي أحميدة، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر، تيدنا نموذجا، دار الهدى ، الجزائر2009

15- محمد شاطو، نظرة المصادر الجزائرية و الأجنبية إلى السلطة العثمانية في الجزائر، دار كوكب العلوم للنشر و الطباعة و التوزيع، الجزائر،2023

16- مروش المنور، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، القرصنة ، الأساطير، و الواقع، دار القصبة للنشر ، الجزائر(د. ذ. ت).

17- مراد وزناجي ، حديث صريح مع أ.د.أبو القاسم سعد الله في الفكر و الثقافة و اللغة و التاريخ، متيجة للطباعة، براقي، الجزائر، ط 3، 2013

18-يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية و الدولية،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ،1999

19- يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر،ج2،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1999

20- ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي البوعبدلي، **الجزائر في التاريخ**، الجزء4، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر ،1984

21- جمال قنان، قضايا و دراسات في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر ،منشورات المتحف الوطني للمجاهد،المؤسسة الوطنية للاتصال و النشر و الاشهار، الرويبة، الجزائر ،1994

- المقالات:

01- أحمد عبيد: "التأريخ الجزائري تقييم و نقد-حالة الجزائر العثمانية"، مجلة إنسانيات، العدد47-48 ، الجزائر ،2010

02- بخدة الطاهر، دور العثمانيين الأتراك في انبعاث و وحدة الدولة الجزائرية الحديثة، مجلة عصور جديدة ، العدد 11-2013،12-2014

03- براهيم لونيسي، أعلام وعلماء في حياة أبو القاسم سعد الله العلمية، منهجيته في دراسة الاعلام، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية،جامعة سيدي بلعباس ،المجلد 07، العدد02 ديسمبر 2016

04-خالد بلعربي، المؤرخ أبو القاسم سعد الله و منهجه في الكتابة التاريخية،المجلة المغاربية للدراسات التاريخية ،المجلد 07، العدد02سبتمبر 2016

05-بلغيث محمد لامين، مواقف إنسانية مع شيخ المؤرخين الجزائريين الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله، مجلة دراسات تاريخية، العدد 04 دون تاريخ النشر

06-زين حفيظة ، النقد الأدبي عند أبي القاسم سعد الله من خلال موسوعته تاريخ الجزائر الثقافي، مجلة العلوم الإنسانية ، العدد 44 المجلد ب ، ديسمبر 2015

07-طاعة سعد، مساهمة العلامة أبو القاسم سعد الله في تحقيق التراث المخطوط من خلال بعض مقالات مجلة الثقافة، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية و الاجتماعية ، المجلد 10،العدد01،جوان 2019

08- عبد الهادي حسين، منهج المؤرخ سعد الله في تصدير المؤلفات التاريخية،المجلة المغاربية للدراسات التاريخية و الاجتماعية ، جامعة سيدي بلعباس، المجلد 07،العدد02،ديسمبر 2016

09-كركب عبد الحق، القضايا الإسلامية و المسائل الدينية في كتابات أبو القاسم سعد الله، مجلة مدارات تاريخية ، العدد05 ، المجلد 02، مارس2020

10-لعرج جبران،أبو القاسم سعد الله الإنسان و الباحث من خلال الشهادات،المجلة المغاربية للدراسات التاريخية و الاجتماعية ، المجلد 07،العدد02،ديسمبر 2016

11- لوصيف سفيان،المؤرخ أبو القاسم سعد الله و كتابة تاريخ الجزائر،مجلة دراسات وأبحاث، العدد28، سبتمبر 2017

12-مجاود محمد ، أبو القاسم سعد الله:أربعين عاما من العطاء العلمي في ميدان التاريخ، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية و الاجتماعية ، المجلد 07،العدد02،ديسمبر 2016

13- محمود محمد المشهداني، اوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني 1518-1830، مجلة الدراسات التاريخية و الحضارية، المجلد 05، العدد 16، 2013

14-هزبري عبد الرزاق، أبو القاسم سعد الله و تأريخه للشخصيات العلمية و الدينية من خلال مراسلاته مع سعد العمامرة ضمن كتاب علاقتي بالدكتور أبو القاسم سعد الله من خلال المراسلات حول تاريخ و أخبار وادي سوف، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 01، المجلد 23، 2022

15-وزناجي مراد، معلمة تاريخ الجزائر الثقافي للدكتور الراحل أبو القاسم سعد الله، شهادة تقدي و عرفان بقلم أحد مرافقيه، مجلة المعيار ، العدد 56، المجلد 25، 2021

16- ولد النية كريم ، مسألة تحقيب التاريخ عند أبو القاسم سعد الله، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية و الاجتماعية، العدد02، المجلد 07، ديسمبر 2016

17-يطو عائشة ، قراءة الدكتور أبو القاسم سعد الله للتراث اللغوي و الأدبي الحزائري من خلال موسوعته تاريخ الجزائر الثقافي، مجلة الحوار المتوسطي ، المجلد 11، العدد 03 ديسمبر 2020

18-يعقوب قادة،تاريخ الأدب الجزائري و قضاياه عند أبو القاسم سعد الله من خلال كتابه تاريخ الجزائر الثقافي،مجلة معارف ، المجلد 17، العدد 202 ديسمبر 2022.

-<u>الملتقيات</u>:

01- رضوان شافو: "عوامل التأثير الثقافي و الاجتماعي في تكوين شخصية أبي القاسم سعد الله" ، الملتقى الدولي أبو القاسم سعد الله مؤرخا و مفكرا يومي 13و14 ديسمبر 2016، جامعة الوادي ، الجزائر

02- محمد الأمين بلغيث: "قراءة أولية في مذكرات شيخ المؤرخين الجزائريين أبو القاسم سعد الله" ، الملتقى الدولي أبو القاسم سعد الله مؤرخا و مفكرا يومي 13و14 ديسمبر 2016، جامعة الوادي ، الجزائر

03- عمر فرحاني: " أبو القاسم سعد الله شخصيته و مكانته العملية" ، الملتقى الدولي أبو القاسم سعد الله مؤرخا و مفكرا يومي 13و14 ديسمبر 2016، جامعة الوادي ، الجزائر

04- عاشوري قمعون: " العلامة الموسوعي الشهير الدكتور أبو القاسم سعد الله " ، الملتقى الدولي أبو القاسم سعد الله مؤرخا و مفكرا يومي 13و14 ديسمبر 2016، جامعة الوادي ، الجزائر

05- عمر فرحاني: " العلامة الموسوعي الشهير الدكتور أبو القاسم سعد الله " ، الملتقى الدولي أبو القاسم سعد الله مؤرخا و مفكرا يومي 13و14 ديسمبر 2016، جامعة الوادي ، الجزائر

-الأطروحات الجامعية:

01- عائشة غطاس ، الحرف و الحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830مقاربة اجتماعية – اقتصادية، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث،ج1،جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية ، قسم التاريخ، السنة الجامعية2000-2001

- المقابلات و الحوارات التلفزية:

01-حمراوي حبيب شوقي: حصة حوار، مع المؤرخ أبو القاسم سعد الله، التلفزة العمومية الجزائرية ، بداية التسعينات(د.ذ.ت)

الفهرس:

الموضوع: الصفحة

الشكر..... 02

الإهداء 03

المقدمة..... 04-10

الفصل الأول: التعريف بشخصية أبي القاسم سعد الله:

المبحث الأول: المولد و النشأة:..... 11-14

المبحث الثاني:مساره الدراسي و العلمي:

المطلب الأول:دراسته في تونس:..... 15-21

المطلب الثاني: دراسته في مصر..... 22-27

المطلب الثالث: دراسته في الو.م.أ..... 28-30

المبحث الثالث:الإنتاج العلمي و المسار الوظيفي:

المطلب الأول: التخصصات و المهام البداغوجية..... 31-32

المطلب الثاني:الإنتاج العلمي و الفكري..... 33-34

المبحث الرابع: منهجه و منطلقاته الفكرية:

المطلب الأول:منهجه في كتابة التاريخ..... 35-42

المطلب الثاني: منطلقاته الفكرية..... 43-51

خاتمة الفصل الأول..... 52

الفصل الثاني:مسائل الحكم العثماني في كتابات أبي القاسم سعد الله

تمهيد.....53

المبحث الأول:المسائل السياسية:

المطلب الأول: طبيعة نظام الحكم العثماني في الجزائر.....54-63

المطلب الثاني: الجهاد البحري و الأسرى.....64-72

المبحث الثاني: المسائل الاقتصادية و الاجتماعية:

المطلب الأول: الاجتماعية.....73-77

المطلب الثاني: الاقتصادية.....78-81

خاتمة الفصل الثاني.....82

الفصل الثالث: تحليل المسائل الثقافية:

تمهيد.....83

المبحث الأول: التعليم.....84-97

المبحث الثاني:التصوف.....98-105

المبحث الثالث: الأوقاف.....106-110

الخاتمة.....111-113

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique
جامعة أكلي محند أولحاج - البويرة -
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
Faculté des Sciences Sociales et Humaines

قسم التاريخ

جامعة البويرة 03 كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية قسم التاريخ

إذن بإيداع مذكرة التخرج بعد التصحيح

نحن الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة عن المذكرة:

الأستاذ المشرف (ة): أ.د. جلاوي سعيد .....

الأستاذ المناقش (ة) : د. عبد الرزاق عطلاوي .....

الأستاذ الرئيس (ة) : د. عبد الله قيلع .....

نأذن بإيداع مذكرة التخرج لنيل شهادة الماستر بعد تصحيحها

بعنوان: مسائل الحكم القضائي بالجزائر في كتابات أبي القاسم سعد الله دراسة لمسألة الثقافة .....

.....

والتي أعدها الطالب : إدريس السعدي .....

والطالب: / .....

المسجل بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ميدان : علوم إنسانية واجتماعية .....

تخصص : تاريخ الجزائر الحديث (1518 - 1830) .....

الموسم الجامعي : 2023 - 2024 .....

إمضاء رئيس اللجنة

إمضاء المناقش

إمضاء المشرف

البويرة في : 2024 / 10 / 15 .....